

الفصل الأول

الندرة الاقتصادية كنواة لعلم الاقتصاد

ويشتمل هذا الفصل على النقاط التالية:

- ✍ ما هي مشكلة الندرة في المفهوم الاقتصادي؟
- ✍ نموذج تحليلي متكامل حول مشكلة الندرة الاقتصادية
- ✍ حقيقة مشكلة الندرة الاقتصادية بين الاعتقاد البشري، والتوجيه الإلهي (رؤية تحليلية نظرية)
- ✍ المبحث الأول نشأة مشكلة الندرة الاقتصادية وتحديد طبيعتها
- ✍ المبحث الثاني الموارد الطبيعية والمصدر الإلهي هو الأوحيد لإيجادها ولتوزيعها
- ✍ المبحث الثالث لمحات حول الواقع البيئي بين اليأس والرجاء

الفصل الأول

الندرة الاقتصادية كنواة لعلم الاقتصاد

مقدمة

تعتبر المشكلة الاقتصادية من أكثر المشاكل التي يعاني منها العالم البشري، أفراداً، وجماعات ومؤسسات ودول، ولقد ثار حولها جدالات لا تنتهي في تحديد المقصود بها، وان كانت مشكلة مطلقة أو نسبية، وان كانت قابلة للحل والتكيف أم أن تضخمها ينذر بنهاية العالم.. وعندما يتدخل المتخصصون في مجال الاقتصاد الإسلامي، تبدأ التوجهات في اتخاذ منحى آخر مختلف أيضاً، مما يزيد من اتساع فجوة الاختلافات بشأن هذا المصطلح الذي يمثل حجر عثرة معيشي للبشر، بل ولبقية الكائنات الأخرى، ولو أن المنظور الإسلامي يحمل في طياته مبشرات تستدعى للتدبر والتفعيل للتوجهات التي يتضمنها.

ترى، ما هو المقصود الاقتصادي لهذا المصطلح؟ وما هي أسبابه؟ وكيف يمكن التعامل معه تعاملًا رشيدًا يتفق مع مواصفات الإنسان الاقتصادي الرشيد، ويتحلّى بحكمة المسلم المحنك الفطن؟

هذا وغيره سوف يتم شرحه بتفصيل مبسط، يرجى معه توضيح الحال بصورة اقرب من صحيح الواقع، ومبشرات المأمول. وذلك من خلال الصفحات التالية بالفصل الحالي.

ما هي مشكلة الندرة في المفهوم الاقتصادي؟

يعتبر مفهوم الندرة Scarcity جوهر مكونات علم الاقتصاد، وأساس كل المواضيع التي يتناولها ويقوم عليها.. حيث تستخدم الموارد الطبيعية كموضع لتوصيف الندرة التي تعتبر بدورها مشكلة لأنها ينظر إليها أخذاً في الاعتبار جانب آخر مقابل هو تعدد حاجات البشر لذات المورد، مع تعدد الاستخدامات البديلة لذات المورد وذات الكمية التي يمكن أن يحصل عليها الفرد (باعتباره نواة حواراتنا التحليلية في هذا المقام).

وقد عرفها جراهام بنوك Graham Bannock بأنها حالة ينقص فيها الموجود والمتاح عن الذي يطلبه الناس.. وبراها المؤلف البريطاني مشكلة نسبية وليست مطلقة، لأن الموارد والمنتجات والخدمات قد تكون متوافرة، ومع هذا لا تسد كلها احتياجات جميع الناس الطالبيين لها، أو تسد جميع الاحتياجات الاستعمالية أو الاستثنائية أو الاستهلاكية المتنوعة التي يمكن أن تفيد بها تلك المتاحات محل الاهتمام.

وعلى الرغم من الاختلافات المستمرة في تعريف علم الاقتصاد، فالملاحظ أن غالبية المفاهيم في تدخل مشكلة "ندرة الموارد" كسبب معيشي يؤثر على حياة الإنسان الاقتصادية، وذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

فعلى سبيل المثال نجد إنه في مفهوم "روينز" ذكر أن الاقتصاد هو "علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني human behavior في استخدام الموارد النادرة scarce resources وتخصيصها بين الاستخدامات البديلة الممكنة لها alternative uses.

وقد عرفه "ألفيد مارشال" بأنه "العلم الذي يدرس نشاط الإنسان في كيفية تأمين حاجات حياته العادية".

وفي تعريف لـ "فؤاد حيدر"، تم تعريف الاقتصاد بأنه "علم الخيار الذي تفرضه ندرة وسائل تلبية حاجات البشر".

وذكر "صامويلسون نوردهاوس" إنه "العلم الذي يقوم على دراسة كيف يمكن للمجتمعات أن تستخدم الموارد النادرة من أجل إنتاج سلع ذات قيمة ونفع، وكيف يمكن توزيع هذه السلع بين الناس على اختلاف أحوالهم".

وأخيرا - وليس بآخر - ذكر في تعريف "ديسكوفار" أن علم الاقتصاد يهتم أساسا بـ "دراسة خيارات الناس في أحوال الندرة، وتتبع نتائج تلك الخيارات في تأثيرها على المجتمع".

ترى، لو تناولنا التحليل الإسلامي لمشكلة الندرة، كيف يمكن أن يحدث هذا؟ وهل يمكن أن تختلف أساسيات ما قيل عنها في الاقتصاد الوضعي الذي يركز على فكر بشري بحت؟ وان حدث، فكيف يمكن أن يكون للتحليل الإسلامي تميزا في الشمولية والعرض الأكثر موضوعية وقابلية للمعالجة نظريا، وعلى أرض الواقع أيضاً؟!!

هذا ما يمكن إيجاد إجابات شافية بشأنه مع فوائد معرفية أخرى يمكن الوقوف عليها، وذلك من خلال الاستقراء الدقيق للنموذج التالي الذي يتم عرضه كبحت متكامل حول تعريف "مشكلة الندرة" بأبعادها المختلفة، لغة واصطلاحا، ومعالجة.

نموذج تحليلي متكامل حول مشكلة الندرة الاقتصادية

حقيقة مشكلة الندرة الاقتصادية بين الاعتقاد البشري، والتوجيه الإلهي

(رؤية تحليلية نظرية)

مقدمة

اعتاد الإنسان أن يركز انتباهه دائما على المفقود متجاهلا دائما ما يتاح له من موجود. وأكبر دليل على هذا أن علم الاقتصاد قد قام بصفة أساسية على افتراض وجود فجوة متنامية الاتساع بين الموارد الطبيعية التي تتاح وتتنامي من ناحية، وبين الاحتياجات والاستخدامات المتنامية لها من قبل البشر من ناحية أخرى، مما نجم عنه مصطلح "مشكلة الندرة الاقتصادية" الذي يمثل جوهر الاقتصاد كفكر وكعلم وكنظام. وبناء على هذا، فقبل البحث التحليلي في مجال الثروات الطبيعية المتاحة في أي بلد أو إقليم. لابد أولا من

التعرف على حقيقة مشكلة الندرة التي أصبحت مشكلة تؤرق الخبراء في كل جهة بالعالم خشية فناء تلك الثروات الطبيعية وعجزها عن تلبية الاحتياجات للأجيال الحالية، بل وللأجيال المقبلة من باب أولى. ومن هذا المنطلق، تركز الورقة الحالية على البدء من نقطة الانطلاق الواجب التعرف عليها بصحتها قبل الحديث عن مشكلة "مفتعلة" عن عمد أو جهل أو قصور في فهم التصنيف الصحيح للثروات أو للموارد الطبيعية، وفي مصدر تواجدها الحقيقي، وفي القانون التوزيعي الطبيعي المتبع (قصداً) بشأنها، وفي المتحكم الأوحد في تطبيق هذا القانون، فإن تم التعرف الموضوعي على ما سبق عرضه، فقد تتغير النظرة التقليدية كثيراً عند الحديث عن الموارد الطبيعية وعن مدى ملاءمة تواجدها للاحتياجات الفعلية لها، بل وعن مدى ديمومتها لتكفي احتياجات البشر مادامت الحياة مازال مقدرها لها أن تستمر للخلائق عامة، وللشخص بصفة خاصة.

وجدير بالذكر إنه في عام 1932، عرّف الاقتصادي "ليونيل روبنز" علم الاقتصاد بأنه "علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني في استخدام الموارد النادرة وتخصيصها بين الاستخدامات البديلة الممكنة لها". (أ. دزينب صالح الأشوح، بدون تاريخ)

وبعده توالى مفاهيم كثيرة بالغة التنوع في تعريف علم الاقتصاد، إلا أنها انفقت بشكل مباشر أو غير مباشر على اعتبار مشكلة "ندرة الموارد الطبيعية" بالنسبة للاحتياجات المتعددة والمتزايدة لها هي لب الاقتصاد وجوهر الاهتمام الذي يقوم عليه.

وقد نشأ عن هذا جدال مازال محتدماً حتى الآن حول تحديد طبيعة "الندرة" التي تؤرق الأفراد والدول خاصة بعد نشوء وتنامي نظرية التنمية المستدامة مع بدايات القرن الواحد وعشرين حيث يذكر البعض أنها ندرة "مطلقة" وآخرون يؤكدون على أنها "نسبية" والمعتدلون من المتخصصين يذكرون أنها مطلقة في جانب ونسبية في جانب آخر وفقاً لاعتبارات تصنيفية وتوزيعية وأخرى تلعب دوراً معنوياً في هذا التحديد.

لكن بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم الذي يمثل المصدر الإلهي المعرفي النموذجي المتكامل تم التأكد من أن تلك المشكلة هي نسبية في طبيعتها، وان مسبباتها، ووسائل حلها تختلف في بعض جوانبها عن ما ورد في الفكر البشري البحت الذي يصور المشكلة ككارثة

محتومة ويقدم حلاً دائماً تقوم على مشقة مادية قد لا تفلح في بعض الحالات في تحقيق الأهداف المرجوة نتيجة لإهمال الجانب الروحي والتعبدي لمن يملك كل الموارد الطبيعية، ويخلقها ويخلق المستخدمين لها ويأراده وحده سبحانه تتحدد التوزيعات المقدره.

وعلى ضوء ما سبق، فقد تركز اهتمام البحث الجاري على دراسة المشكلة الاقتصادية وحقيقة تواجدها على أرض الواقع خاصة في مصر التي يتم التخوف من نضوب ما بها من موارد والسعي المستمر إلى الاستيراد والاقتراض وتقبل المنح من أجل حل مشكلة توفيرها حيث يدعى البعض بأنها أصبحت كارثة صعبة العلاج، وذلك من خلال رؤية تحليلية نظرية الأساس من منظورين وضعي دائم والتقلب، وإسلامي نموذجي التوجه، وسوف يتم هذا من خلال ثلاثة فصول:

ففي الفصل الأول، سوف تتم محاولة التعرف الموضوعي على مشكلة الندرة تتبعاً لأول ظهور حقيقي لها مع تتبع بعض المتغيرات المرتبطة بها، ثم يتم استكمال الصورة المعنية في الفصل التالي، وذلك من خلال التعرف على طبيعة مفهوم الموارد الطبيعية التي تمثل لب مشكلة الندرة المؤرقة للجميع، مع توضيح موضوعي للمصدر الأساسي لتواجدها ولتوفيرها والمهيمن الحقيقي على توزيعها على المستوى الكلي بل والجزئي أيضاً. وطالما أن البيئة تمثل شقا مكملاً للموارد الطبيعية ومتداخلاً معه في التأثيرات المتنامية أو المتدهورة، فقد تم تخصيص الفصل الثالث من أجل التعرف على الحال البيئي السائد وعلى بعض التأثيرات السلبية له على تنامي الموارد الطبيعية من ناحية، بالإضافة أيضاً إلى بعض الجوانب الإيجابية المبشرة التي يمكن استنباطها من هذا الحال ظاهر السوء بحيث يمكن أن تعتبر خيوطاً إيجابية لتحويل السالب إلى موجب، ولتحويل الندرة إلى وفرة، والحاجة إلى اكتفاء ذاتي.. واستكمالاً للصورة المعنية بدون مقاطعات تخل بمجرى العرض الأساسي المستهدف، تتم إضافة ملاحق كسولية ثلاثة يعرض فيها بإيجاز شديد بعض الثروات الطبيعية في مصر، وبعض الاكتشافات العلمية التي تؤكد على أن الندرة يمكن علاجها بالعلم والعمل، والانتهاه بالمرور على أحوال دول الوفرة للتعرف على ما فعله توجيهها المادي البحث بمواردها الوفيرة.

المبحث الأول

نشأة مشكلة الندرة الاقتصادية وتحديد طبيعتها

بداءة نعرف الندرة الاقتصادية على أنها حالة عدم كفاية الموارد الطبيعية محدودة العرض بطبيعتها غير المتجددة غالباً في تلبية الاحتياجات البشرية وغير البشرية اللامحدودة والمتزايدة خاصة مع التقدم التقني وتطور الحضارات.

ويمكن أن يمتد تعريف الندرة المعنية ليشمل أيضاً الموارد غير الطبيعية التي يقوم الإنسان بإنتاجها - مثل عدم كفاية المعروض من السلع والخدمات والمنافع المتاحة لتلبية الاحتياجات المعاصرة لها على المستويين المكاني والزمني، ومن هذا انطلقت نظريات تميز بين الحاجات الأساسية والحاجات الكمالية والحاجات البذخية ثم مؤخراً الحاجات المستفزة!!! وهو ما سوف يتم الإشارة حول البعض منه بمزيد من التفاصيل لاحقاً.

نشأة مشكلة الندرة: متى؟ وأين؟ وكيف حدثت؟ وما هو سبب ظهورها؟ وبأي طبيعتها؟

غاية ما قد يتوقعه الإنسان من إجابة على هذا أن يقال أنها نشأت بعد نشوء التجمعات البشرية وتزايد السكان بأعداد ضخمة مع تدهور البيئة والموارد وتزايد الاستهلاك المستمر لها والاستغلال السيئ للمتوافر منها.. فكل تلك التوقعات الشائعة تركز دائماً على وقت تواجد الإنسان على أرضنا الدنيا وذلك للارتباط البشري المادي البحث بتلك الأرض مؤقتة التواجد وعدم انتباهه اللازم إلى حقيقة ما حدث قبل هذا على الرغم من ما يعرفه الجميع عنه بالفطرة التي خلق البشر عليها.

أولاً: وقت نشأة مشكلة الندرة:

نزول آدم عليه السلام وزوجته حواء إلى أرضنا الدنيا.

ثانياً: مكان حدوث مشكلة الندرة:

إحدى جنان الله غير الأرضية قبل خلق أرضنا الدنيا.

ثالثاً: كيف حدثت مشكلة الندرة:

1- في البداية، كان آدم عليه السلام وزوجته مباح لهما أن يأكلان من جميع الثمرات ما عدا شجرة واحدة ﴿ وَيَتَّكِدُمْ أَشْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: 19)

﴿ وَقُلْنَا يَتَّكِدُمْ أَشْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: 35)

ومن الآيتين يتضح بدهاء نوعاً من الندرة النسبية غير المباشرة وهي تتمثل في الشجرة التي حرم الله تعالى على آدم وزوجته الأكل منها ولم يذكر لهما السبب في التحريم لكنه سبحانه حذرهما من العواقب السلبية لو استخدموا هذا المورد الطبيعي المتاح مادياً والممنوع في حق استغلاله بشكل مطلق.

2- وقد حدث هذا التوجيه أو الأمر الإلهي بعد أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم وأخبرهم باختياره له ليكون خليفة في الأرض، وأوضح لهم تمييزه - سبحانه - لآدم على جميع المخلوقات الأخرى بتعليمه لجميع المسميات والمفاهيم والاصطلاحات ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 30)

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿32﴾ قَالَ يَتَّكِدُمْ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿33﴾ (البقرة: 31-33)

3- وهنا بدأ ظهور إبليس الذي أظهر حسده وحقده واحتقاره لآدم عليه السلام وذلك بالتحديد حين رفض بوقاحة طاعة ربه في أمره للملائكة بالسجود لآدم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾
(البقرة: 34)

4- وزاد حسد الشيطان لآدم وزوجته حواء حين وجدهما ينعمان برغد الجنة وبثمرها فبدأ نشاطه الإيذائي لهما باستخدام المكر والوسوسة والخديعة لكي يسلبهما نعيم العيش المتاح لهما، وقد حدث هذا بالتركيز على المورد المحرم وإغرائها باستخدامه (بما يتحقق معه مخالفة لأوامر الخالق واستجلاب غضبه عليهما)، وكانت الوسيلة الفعالة لنجاح خطته الإغوائية أن يضيف على المورد المحرم (الشجرة) منفعة مؤكدة الإيسعاد والإشباع لرغبات آدم وزوجته وهي عدم الفناء. ﴿ فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (الأعراف: 20)

رابعاً: السبب في ظهور الندرة كمشكلة والطبيعة التي ظهرت عليها:

وبمجرد استجابة آدم وزوجته للإغواء الشيطاني وتذوقها لثمار الشجرة المحرمة ظهرت الصورة الجديدة للندرة لكن بشكل أقرب للمفهوم الاقتصادي الذي يتم تناوله في علم الاقتصاد الحالي:

أ- فقد كان هنا سبباً واضحاً لنشوء الندرة كمشكلة تتسبب في حزن وندم آدم وزوجته وكان السبب هو عصيان أمر إلهي والاستجابة لوسوسة الشيطان ومخالفتها الأمر.

ب- وبدأت المشكلة المعنية بخلق حاجة بشرية تستلزم مجهوداً من أجل تليتها، وكانت تلك الحاجة تتمثل في إظهار عورتي آدم وحواء.

ج- وبدأ شكل ندرة الموارد المتاحة كمشكلة ظاهرة حين عجز آدم وحواء عن العثور على ما يستر العورة (التي عرفا بالفطرة قبح ظهورها حتى لبقية الخلائق)، ولم يجدا سوى أوراق الشجر المحيط بهما فहरعا إلى قطفه بعشوائية وبسرعة للتمكن من إخفاء العورة التي ظهرت.

﴿ فَذَلَّلَهُمَا يَهْوَاهُ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢٢) ﴿ (الأعراف: 22)

د- ويبدو أن مشكلة الندرة هذه (التي نتجت عن أول معصية بشرية للخالق، استجابة لأول نشاط شيطاني مع عدوه البشري)، لها ارتباط وثيق بحالة العداوة والصراعات المحتمومة بين غالبية المخلوقات التي تعيش على الأرض الدنيا والتي نرى آثارها بكل وضوح في الصراعات البشرية العالمية المحتمدة من أجل الاستحواذ على الموارد الطبيعية الموجودة في المناطق الأخرى، وبحالة العداوة والصراعات اللانهائية بين المخلوقات الأخرى جميعها تقريبا خاصة تلك التي تعيش في الغابات وداخل أعماق المجارى المائية وغيرها.

وقد يكون دليلنا على هذا ما قاله الله تعالى لآدم ولحواء وللشيطان بعد قصة العصيان البشري الأول، وظهور مشكلة الندرة النسبية كبداية لمعاناة البشر وللانتقال للسكن والعيش المؤقت على الأرض الدنيا.

﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢٤) ﴿ (الأعراف: 24، 25)

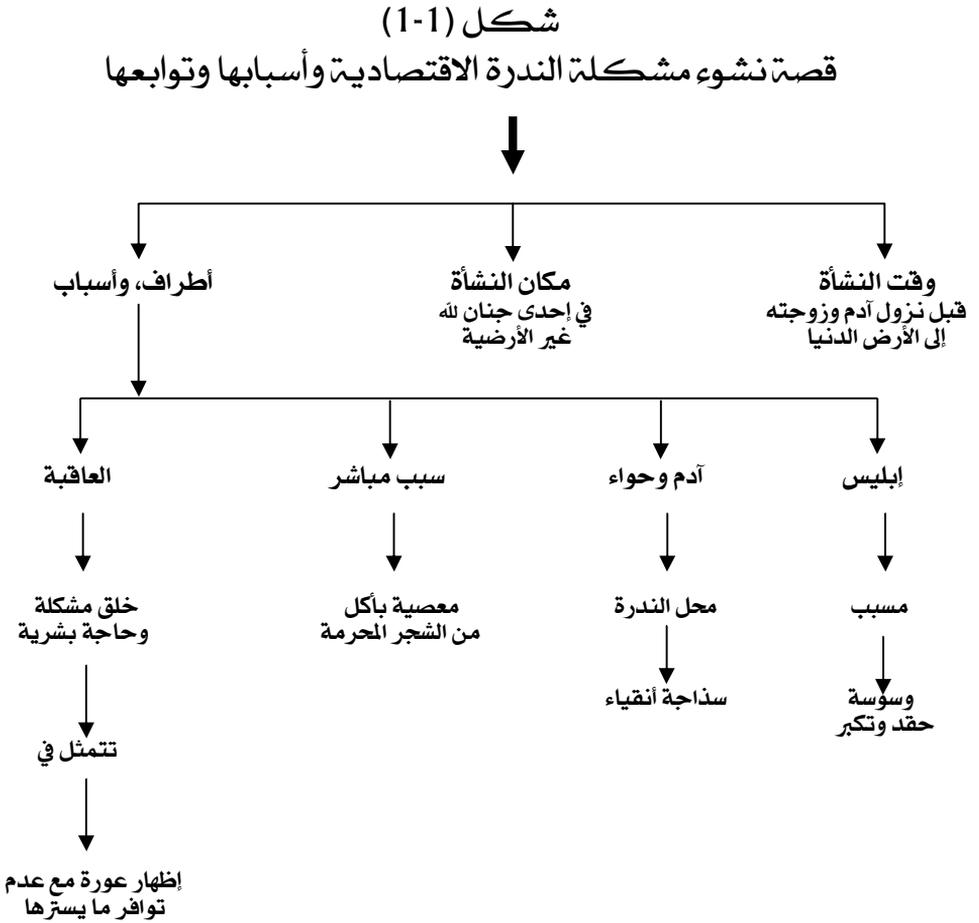
الخلاصة:

فقد نشأت الندرة كاصطلاح ومشكلة قبل نزول آدم عليه السلام وزوجته إلى الأرض الدنيا، وكان السبب في نشوئها، حدوث المعصية بمخالفة الأمر الإلهي، وهى مشكلة نسبية ومقدرة من الخالق، ومن الآثار السلبية لحدوثها انتشار العداوة بين المخلوقات.

هذا ما تم استخلاصه من دروس مستفادة حول المصطلح المعنى من مجرد لمحة قرآنية لقصة واحدة ترتبط بآدم عليه السلام وزوجته في بدايات معيشتها خارج دنيانا الأرضية المعتادة. لكن الآيات القرآنية قد ذخرت - أيضاً - في مواضع أخرى منها بالعديد والعديد من الدروس المستفادة التي تمكن أي باحث جاد من استنباط صورة أكثر منطقية حول حقيقة

ما يواجه الأفراد والمجتمعات من ندرة في الموارد المتاحة، والوسائل الأكثر فعالية للتغلب على تلك المشكلة والوصول إلى الوضع التوازني الصحيح وليس المستهدف⁽¹⁾.

ويمكن أن تتضح خلاصة ما سبق أيضاً من خلال الإطلاع على الشكل (1-1) التالي:



(1) حيث أن المستهدف قد لا يكون صحيحاً أن تم بناء على محددات لا تتلاءم بصحتها مع القدرات والاحتياجات والمنافع الفعلية وهو ما سوف يتم توضيحه في طيات المعروض لاحقاً.

الندرة في المنظور الاقتصادي بشري الإعداد والتوجه

كنظرة عامة، يشاع في الغالبية العظمى من الدراسات الاقتصادية أن هناك دائماً مشكلة ندرة اقتصادية تتمثل في محدودية الموارد المتاحة مقارنة بالاحتياجات البشرية اللامحدودة والتي دائماً ما تزيد على تلك الموارد.

وتلك الندرة تحدث إما بشكل مطلق وذلك خاصة في حالة الموارد الطبيعية غير المتجددة مثل موارد الطاقة (كالبترول والفحم) أو بشكل نسبي مثل المزروعات النباتية ومياه الأمطار وبعض الموارد البيئية كالثروات السمكية والأماكن الطبيعية السياحية.

وفي جميع حالات الندرة فإن هذا يستلزم عملية الاختيار والمفاضلة Choice and Preference بين الاستخدامات البديلة المتعددة والتضحية ببعض الرغبات من أجل تحقيق أخرى بديلة، حيث يتم هذا من خلال عملية تخصيص للاستخدامات المقررة وفقاً لقائمة أولويات عادة ما تختلف ما بين الأفراد والمجتمعات، ومن زمن لآخر، ومن مكان لآخر، وفقاً للمستوى المستهدف من إشباع الحاجات الإنسانية The satisfaction of human needs.

أولاً: بعض المفاهيم ذات الصلة

ومن المنطلق السابق، تم استنباط بعض المصطلحات أو المفاهيم الاقتصادية ذات الصلة مثل:

- 1- مؤشر الندرة scarcity index: ويقصد به التكلفة الحقيقية لمدخلات رأس المال والعمل لكل وحدة إنتاج استخراجي معبر عنه كرقم قياسي لأسعار تلك المخرجات نسبة إلى الإنتاج الاستخراجي أو غير التعديني (تحسين التاجي الفاروقي، 2009 ص 400).
- 2- قانون الندرة scarcity low: هو مبدأ يقول أن غالبية الأشياء التي يريدها الناس (باستثناء السلع المجانية) متاحة فقط بكميات محدود عرضها ولذلك فهي عموماً نادرة (المرجع السابق).
- 3- تسعير الندرة scarcity pricing: أي تحديد أسعار تتعادل مع التكلفة الاجتماعية الحدية، حيث يطبق هذا غالباً في اقتصاديات النقل (المرجع السابق).

- 4- ريع الندرة scarcity rent: أي العائد الاقتصادي المستحق الحصول عليه عن شيء نادر (المرجع السابق).
- 5- موارد مجانية free resources: وهى الموارد الطبيعية المتاحة مجاناً لكل البشر مثل الضوء والهواء.
- 6- موارد اقتصادية economic resources: وهى الموارد التي لا بد من دفع مقابل لها من أجل الحصول عليها.

ثانياً: بعض النظريات الاقتصادية التي تضمنت فكرة الندرة:

(1) الفكر التجاري: منتصف القرن 15 م - منتصف القرن 18 م

ركز هذا الفكر على الثروة المعدنية خاصة من الذهب والفضة والمعادن النفيسة واعتبارها الخيار الأهم لأي دولة تستهدف اكتساب القوة والهيمنة على الآخرين، واعتبر الموارد الطبيعية الأخرى خاصة الزراعية منها بمثابة مواد خام محدودة فحرصوا على الاحتفاظ بها لديهم في بلادهم الأوربية منها، مع استيراد ما يمكن استيراده من الدول الأخرى منها من أجل تغطية احتياجاتهم المباشرة والتصنيعية منها من أجل زيادة الصناعات التي يتم تصديرها إلى الدول الأخرى فتزايد معها المتحصلات من الثروة المعدنية النفيسة.

وقد ذكر في هذا الفكر أن الحجم الإجمالي للثروة المعدنية المعنية ثابت على المستوى العالمي ومحدود الحجم إجمالاً، ومن ثم فإن زيادة حجم تلك الثروة في دولة ما لا بد أن يكون أو يحدث على حساب تخفيض ما تمتلكه دولة أو عدة دول أخرى منها.

ومن ثم فقد كان هذا الفكر استعماري التوجه لأنه يبحث على زيادة الثروة المحلية حتى من خلال استعمار الدول الأخرى الغنية بالثروات المعنية من أجل استنزاف ما تمتلكه منها (د / زينب صالح الأشوح 2015، ص 93).

(2) نظرية مالتس في السكان: (ظهرت في عام 1793م)

تركز النظرية على اعتبار الزيادة السكانية كسبب رئيسي لحدوث مشكلة الندرة الاقتصادية موضحة أن الموارد الطبيعية (المثلة بجانب العرض) تنمو بمتواليه حسابية أو

عددية (5، 4، 3، 2، 1... الخ) بينما تتنامي الموارد البشرية (المستخدمة لتلك الموارد الطبيعية والمثلة لجانب الطلب لها)، بمتواليه هندسية أو متضاعفة مركبة (32، 16، 4، 2، 1... الخ)، ويتسبب هذا الاختلاف غير المتوازن في معدل النمو بين الجانبين في إحداث فجوة متزايدة الاتساع بين جانب عرض الموارد الطبيعية، وجانب الطلب عليها حيث يتضاعف عدد السكان كل 25 عام بينما لا تحدث زيادة مماثلة في الموارد في خلال ذات الفترة. فإذا لم تستخدم الموانع الطبيعية لتخفيض النمو السكاني وذلك بتأخير سن الزواج مع العفة، فسوف تحدث كوارث طبيعية مثل المجاعات أو انتشار الأوبئة أو اندلاع الحروب وتستمر حتى يعود التوازن التلقائي بين الطرفين (المرجع السابق ص 138، 139)

(3) نظرية آدم سميث "اليد الخفية" (1766م):

وفي تلك النظرية، تحدث سميث عن مشكلة الندرة كمسلمة يجب التعامل معها باستمرار التفاوضات والتنازلات الملائمة من جميع الأطراف المتعاملة معا حتى يصل الجميع إلى حالة التراضي العام بين الجميع، حيث أوضح أن هناك دائماً فجوة بين ما يتطلع جانب الطلب للحصول عليه من ناحية، وبين جانب المعروض والمتاح له بمقابل معين على الجانب المقابل، وركز نظريته هنا على الموارد المنتجة وليس الطبيعي أو المجاني منها، وذكر أن تلك الفجوة تتسبب في حدوث خلل في التوازن بين العرض والطلب مما يتطلب بالضرورة حدوث تنازلات من الجانبين، وكأن هناك يد خفية تحث وتوجه الجميع إلى تحقيق التنازلات الجماعية الواجبة بما ينتهي إلى تحقيق حالة التوازن التي يتراضي عندها جميع الأطراف على الرغم من إنه في تلك الحالة سيجد كل فرد من الطرفين إنه قد حقق وضعاً مختلفاً عن ما استهدف إلى تحقيقه في البداية. (تودج بوشهولز، 1996)

(4) قانون تناقص الغلة "دافيد ريكاردو" (1817م في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب):

وهنا، تأثر ريكاردو بنظرية مالتس في السكان، واعتبر الزيادة السكانية سبباً في تدهور المتاح من الغلة الزراعية نتيجة للزيادة المستمرة في السكان التي تتحول بعد هذا إلى عمالة، وبافتراض أن الأرض هي الموضع الإنتاجي الثابت الأساسي، فأوضح أن زيادة عدد العمال

على ذات المساحات المنزرعة المحدودة من الأرض ستؤدي في البداية إلى تزايد الغلة الزراعية، لكن باستمرار إضافة أيدي عاملة جديدة على ذات المساحة المنزرعة سوف يؤدي إلى إنهاكها حيث ينخفض معدل الإنتاجية إلى صفر، وبتوالي الإضافات البشرية العاملة إلى ذات المساحة الأرضية المستغلة، يبدأ معدل الإنتاجية في اتخاذ أرقاماً سلبية متناقصة مما يتسبب في الانخفاض المستمر في الناتج الحدي وتحوله إلى أرقام سلبية متزايدة الارتفاع مما ينتهي بالتوقف الإنتاجي التام للموارد المستهدفة في نهاية الأمر، وبعجز الأرض المولدة للموارد عن إدرار المزيد تحت وطأة الأقدام والسواعد البشرية المتزايدة بأحمالها الاستغلالية لها.

(5) نظرية "شومبيتر" (في كتابه "نظرية التنمية الاقتصادية" عام 1911م الذي استكمل بكتاب آخر في عام 1939):

ولقد ركزت النظرية على عرض منظور إيجابي يتمثل في إيجاد حل لمشكلة محدودة الموارد الطبيعية والمصنعة وذلك من خلال تفعيل وسيلتين رئيسيتين:

- الوسيلة الأولى وتتمثل في المنظم المبدع الابتكاري الذي لا يكتفي بالإدارة التقليدية ثابتة الثمار، لكنه دائم التطوير والابتكار والتحديث في كل شيء في طبيعة المواد وخصائصها، وفي إنتاج موارد جديدة أو متجددة، وفي اتباع أساليب تقنية جديدة ومتطورة، وفي فتح أسواق جديدة باستخدام مهارات وخبرات إبداعية متطورة. ولقد اعتُبر المنظم بمثابة المفتاح الجوهري أو الدينامو المحرك لأية علميات تنموية أو تطويرية ناجحة.
- أما الوسيلة الثانية فتتمثل في الائتمان المصرفي الذي يوفر للمشروعات خاصة عالية المخاطر ما يلزم من إمكانيات تمويلية، ويدعم بفاعلية قدرات وخطط وإنجازات المنظم المبدع.

(6) نظرية التنمية المستدامة (ظهرت في السبعينيات واستمرت بتطورات كثيرة حتى حينه):

فقد ظهرت تلك النظرية وتطورت من خلال المخاوف العالمية من تنامي مشكلة تدهور الموارد الطبيعية وتلوث البيئة التي تهدد العالم كله بتأثيراتها المدمرة مما يمكن أن يتسبب ليس فقط في نقص المتاح مما يمكن أن يلبي احتياجات الأجيال الحالية، لكنه قد يتسبب أيضاً

في حرمان الأجيال المستقبلية من الانتفاع بحقها المشترك في الموارد والبيئة الطبيعيين المحدودين غالباً بشكل مطلق، والآخذان في التدهور حتى بالنسبة للموارد الطبيعية المتجددة والدائمة مثل الهواء والماء الصالحين للعيش الأرضي الصحي وذلك نتيجة لإساءة استغلال الموارد الطبيعية بالتوسع في العمليات الصناعية والنووية التي تسببت في إحداث ثقب الأوزون، مع الاستخدام الجائر المتخلف للأشجار والمزروعات وغيرها. (د. زينب صالح الأشوح، 2003)

(7) نظرية الطبيعيين (منتصف القرن 18م):

وتعتبر أكثر النظريات موضوعية - إلى حد ما - في تقدير الأهمية النسبية الأكبر للموارد الطبيعية متمثلة في الأرض ومنتجاتها الزراعية بصفة خاصة، حين اعتبرت الزراعة هي النشاط المنتج الوحيد الذي يدر قيمة مضافة تكفي لتغطية حاجات العاملين على استزراعها، بالإضافة إلى تغطية جميع حاجات العاملين في القطاعات الأخرى كالصناعية والتجارية كغذاء وكخامات إنتاجية. وقد يرجع منظورها هذا إلى قيام أفكار أصحابها على مبدأ أساسي يتمثل في الإيمان بوجود خالق ينظم الكون وهو القادر وحده على توفير حالة التوازن الشاملة التي تضمن البقاء المعيشي على الأرض، ومن أجل هذا تمت المطالبة بعدم تدخل البشر في إحداث أي تغير في هذا النظام الطبيعي وألا تسبب هذا في الإخلال بالتوازن الطبيعي المعيشي الصحيح الذي تنعم به البشرية.

الخلاصة:

إن الفكر الاقتصادي الوضعي في الغالبية العظمى منه يقوم على فكرة واشتراط Assumption جوهرية لا محل له من الاعتراض، وهو أن العالم يواجه دائماً حالة ندرة في الموارد الطبيعية المتاحة، وهي في غالبيتها العظمى ندرة مطلقة نتيجة للتزايد المستمر في نمو السكان من ناحية، وللتزايد المتفاقم في الحاجات البشرية المواكبة لمتطلبات التطور الحضاري المستمر من ناحية أخرى.

وبناءً عليه، تظل علينا دائماً توقعات ونظريات تشاؤمية تحذر من مستقبل معيشي مظلم، فينادى بعضها بالتخلي الكامل عن الدول الضعيفة والاكتفاء بحماية الذات مثل سياسة التجاريين قديمة المنشأ، ونظرية "قارب النجاة" المستحدثة (د/ زينب صالح الأشوح، مرجع سبق ذكره ص 198، 199)

ويسعى البعض إلى افتعال صراعات شرسة ومدمرة مع الدول المستضعفة طمعاً في الاستئثار بمواردها مثلما يحدث بوضوح في الآونة الأخيرة خاصة منذ نهايات عام 2010 حتى الآن فيما يتعلق بأحداث ما تنعت - كذباً - بالربيع العربي. وما زال الجدل محتدماً، وما زالت تحبّطات النظريات والأفعال تلف العالم بمخاوف وبسوداويات لا يعلم مدى عواقبها إلا خالق هذا الكون بكل ما فيه من معروض معيشي وطلب بشرى. إنه "الله" سبحانه وتعالى. فلماذا لا نكون أكثر موضوعية ونحاول أن نتعرف على ما أرشدنا إليه الله تعالى في هذا الصدد؟؟!!.

تعالوا معاً للتدبر في آيات القرآن الكريم الذي يتحدث الخالق معنا من خلاله في كل أمر يشغلنا حتى في أمر المعروض والطالب له ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرِيهِمْ إِلَيْنَا رِيحَهُمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: 38).

ويمكن الاستعانة بالشكل (1-2) التالي للاطلاع على صورة تصويرية مختصرة لأهم ما تضمنته النظريات الوضعية من نقاط بشأن مشكلة الندرة الاقتصادية، وذلك وفقاً لما تم عرضه في الصفحات السابقة:

جدول رقم (1-1)

الندرة الاقتصادية كما وردت في بعض النظريات بشرية الإعداد

1- التجاريون (الدولة)	2- مالتس (السكان)	3- آدم سميث (اليد الخفية)	4- ريكاردو (تناقص الغلة)
<ul style="list-style-type: none"> الدولة تستمر بالقوة و القوة بالثروة الطبيعية وهي ثابتة في العالم اذن، زيادة ثروة دولة تعنى نقص ثروة دولة أخرى (مذهب استعماري) 	<ul style="list-style-type: none"> عديدة في الموارد هندسية في السكان فجوة متزايدة بين المعروض والمطلوب يؤدي إلى ظهور وسائل طبيعية سلبية لاستعادة التوازن مثل (الحروب والمجاعات والأوبئة) الحل: تأخير سن الزواج مع العفة أي معدلات الإنجاب 	<ul style="list-style-type: none"> تعارض الأهداف بين جانبي العرض والطلب خلل توازني مفاوضات وتنازلات تتمثل في (يد خفية) حالة توازن ورضا للجميع مع تغير المتحقق الفعلي عن أهداف الجميع 	<ul style="list-style-type: none"> عنصر إنتاجي ثابت عنصر متزايد على الثابت (العمالة البشرية) تزايد معدلات الإنتاج ثم ثبات ثم تناقص
5- شومبيتر (المنظم والائتمان)	6- التنمية المستدامة	7- الطبيعيون	
<ul style="list-style-type: none"> حل محدودية الموارد يحدث من خلال: - منظم مبدع ومبتكر ائتمان تحويلي كاف أسواق جديدة مربحة 	<ul style="list-style-type: none"> حق الجيل الحالي حقوق الأجيال المستقبلية تدهور الموارد وتلوث البيئة مسئولية العالم أجمع 	<ul style="list-style-type: none"> القطاع الزراعي هو المنتج الوحيد لقيمة صافية مضافة تكفي احتياجات وبقية القطاعات الأخرى كل القطاعات الاقتصادية الأخرى (صناعة وتجارة) صفرية الإنتاج ولا تقدم قيمة مضافة إذا هناك وفرة كافية في الموارد الطبيعية وتحقق التوازن إلهي المصدر أي تدخل في عملية الإنتاج والتوزيع والمسار التدفقي للموارد الطبيعية يتسبب في خلل توازني هذا الخلل التوازني هو ما يطلق عليه حالياً مشكلة الندرة الاقتصادية 	

حقيقة الندرة وبعض أسبابها كما ورد في النصوص الشرعية

بداية تؤكد كل آيات القرآن الكريم على حقائق لو تدبرها الإنسان بحكمة لذهب عنه أي خوف مما يبدو جلياً في الفكر البشري الذي تم عرض نبذة عنه توأماً، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء وهو القادر لأن يقول للشيء "كن فيكون" وعنده "خزائن

كل شيء " لكن هذا لا يمنع من وجود حالات ومظاهر ندرة وحاجة مستمرة بين البشر، بعضها علمنا الله سبحانه وتعالى أسباب حدوثه والحكمة في إحداثه، والأخرى تتطلب منا الإذعان والقبول بلا أي تفكير أو اعتراض، مع اللهث بالدعاء من أجل تحسين الأحوال. وبالتأمل في آيات الله يمكن تصنيف الندرة وفقاً لبعض المسببات التي أراد الله أن يوضحها لنا وذلك على النحو التالي:

أولاً: الندرة كعقاب إلهي رادع خاصة لمن أساء استغلال ما أتيح له ومن جحد بنعم الله:

1- الكبر والغرور يؤدي إلى إهلاك الموارد:

- ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۚ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۗ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ۗ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ؕ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۗ ﴾ (الكهف 32-35)
- ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ؕ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۗ ﴾ (الكهف: 42)

2- إساءة استغلال الموارد الطبيعية والنعم المتاحة يؤدي إلى تدهور الموارد:

- ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۗ ﴾ (الروم: 41)

3- التهوين من شأن النعم والمنح المتاحة وإهمالها، مع وجود أقوام أكثر تقديراً وأفضل معاملة لها:

- ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ۗ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۗ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينِ ۗ ﴾ (الدخان 25-28)

4- الجحود بالنعم وعدم أداء حقها من الشكر وحسن الاستغلال على مستوى الدولة الكاملة يتسبب في المجاعات وضياع الأمن:

- ﴿ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: 112)

ثانيا: الندرة كابتلاء واختيار ورفع للدرجات لمن يحسن التعامل الإيماني الصحيح مع هذا الابتلاء:

- 1- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة 155-156)

2- بل أن الندرة تتساوى مع الوفرة في اعتبارهما وسائل للاختبار الإلهي

- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: 35).

- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (44) ﴿ فَفُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (45) (الأنعام: 44-45).

ثالثا: الندرة كوسيلة تربية وتدريبية على الصلابة والرشد في الاستهلاك وفى تحمل الشدائد وتجنب المحرمات:

- 1- ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: 39).

- 2- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (٨١) (طه: 81)

- 3- ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: 27).

رابعاً: الندرة كوسيلة توزيعية تؤكد على المعيار الإلهي في التوزيع وهو اللامساواة، ضماناً للتواصل البشري وإعمار الأرض:

1- ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦٢) ﴿ العنكبوت: (62).

2- ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ (الزخرف: 32).

3- ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٧١) ﴿ (النحل: 71)

4- "إذا ساق الله إليك رزقاً من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذها، فإن الله أعطاكه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 590 - 269، ص 163)

خامساً: الندرة نتيجة للتبذير وللمعاملات المحرمة والتسول لغير ضرورة وخشية الفقر وتناسى أن الرزق من الله:

1- ﴿ وَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٣١) ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٣٧) ﴿ (الإسراء: 26-27).

2- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٣٠) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (٣١) ﴿ (الإسراء: 29-31).

3- ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٧٦) ﴿ (البقرة: 276).

4- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (٨١) ﴿ (طه: 81).

5- ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١٧٠) ﴿ (الأنعام: 14).

- 6- ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل: 112).
- 7- ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: 78) ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (القصص: 81-82)
- 8- ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء: 100).

سادسا: المحدودية قد تكون وهمية كنتيجة لنهم المبالغة في الحاجات والمطالبات الدنيوية:

- 1- ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: 14)
- 2- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (التوبة: 34).
- 3- "لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله، ثم تمنى مثله، حتى يتمنى أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، وتم 5289).
- 4- "لو كان لابن آدم واد من مال لا بتغى إليه ثانياً، ولو كان له وأديان لا بتغى لها ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (المرجع السابق، 5288).
- 5- ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم: 34).

6- " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه " (رواه البخاري ومسلم).

7- ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ ... ﴾ (النساء: 32)

8- "مَنْهُوَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا" (صحيح الجامع الصغير وزيادته 6624).

وتتلخص مسببات الندرة السابق سردها في صورة شاملة تتضح في الجدول (1-3) التالي:

جدول (1-2)

بعض الأسباب الهامة لحدوث وتنامي مشكلة المحدودية والندرة

محدودية مفتعلة ووهمية	نتيجة جماع للمبذرين	نموذج توزيع إلهي	تهذيب سلوكي	ابتلاء واختبار	عقاب إلهي
نتيجة لجشع ولا محدودية الرغبات والمطالب	<ul style="list-style-type: none"> ردع للمتسولين عن غير حاجة حقيقية ردع للناكرين لحقيقة أن الرزق فقط بيد الله 	<p>يقوم على اللامساواة من أجل:</p> <ul style="list-style-type: none"> - التواصل البشري - استمرارية إعمار الكون 	<p>للتدريب على الترشيح (تربوية سلوكية اقتصادية)</p>	<p>لرفع درجات المؤمن</p>	<p>نتيجة لذنوب ومعاصي</p>

بعض طرق ووسائل تجنب مشكلة المحدودية أو التخلص منها والتخفيف من سوء آثارها

أولاً: الدعاء المباشر والذكر والتسبيح والاستغفار والتوبة وعدم موالاته المنحرفين (لأنهم سفهاء بإهدارهم للنعم):

1- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة: 126).

2- ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة: 114).

3- ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٩ ﴾ (المنافقون: 9).

4- ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١١ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٢ ﴾ (نوح: 10-12).

5- ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرِمِينَ ٥٢ ﴾ (هود: 52)

6- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٦٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْنَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٦ ﴾ (المائدة: 65-66)

7- ﴿ رِجَالٌ لَا لِيهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨ ﴾ (النور: 37-38).

8- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢ ﴾ (البقرة: 172).

9- ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٣ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣ ﴾ (الطلاق: 2-3).

ثانيا: الرشد الاستهلاكي والإنفاقي وتخصيص جزء للمحتاجين:

1- ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِن حَيْرِ يَوْفٍ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ٣٧٣ ﴾ (البقرة: 272).

2- ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٣٩ ﴾ (سبا: 39).

3- ﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: 18).

4- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: 67).

5- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩) ﴿ (الإسراء: 29).

ثالثا: العمل والسعي والسفر والانتقال إلى أماكن التكسب والمنافع مع تحرى الاستهلاك والإنتاج والمكسب الحلال:

1- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١٥) ﴿ (الملك: 15).

2- ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (النحل: 97).

3- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ (٥٨) ﴿ (الحج: 58).

4- ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ (المائدة: 88).

5- "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ". (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1 وحسن 1880، ص 383)

6- "لَا تَزُولُ قَدَمَا عِنْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ". (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 2، 7300 - 2531، ص 1221)

7- "نهى عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة". (المرجع السابق 6866، ص 1158)

رابعا: دمج العمل التعبدى لله مع الإتيان التطوعي والعمل المعيشي بنجم عنه عمل تكسبي أخروي (التجارة مع الله كنشاط مؤكد الأرباح):

1- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلٰنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ (٢٩) ﴿ (فاطر: 29).

2- ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الرعد: 22).

3- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة: 10).

4- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن لَّيْسَ لَهُمْ آخِسُنَّ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (الكهف: 7).

خامساً: الالتزام بتطبيق قاعدة التوفيق بين كل من المصلحة "الفردية" والمصلحة "المجتمعية" كشرط ضروري للتوازن بين جانبي عرض الموارد والطلب عليها:

1- فالفرد له حق التصرف فيما يمتلكه وعليه واجب الحفاظ والدفاع عن هذا الحق حتى الموت.

• "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 2، 6445، ص 1100).

• الإنسان ذاته ملكية مؤقتة لذويه "من قتل خطأ فديته مائة من الإبل، ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون، وثلاثون حقة، وعشرة بنى لبون" (المرجع السابق، حسن، 6443 - 2190، ص 1100).

2- والمجتمع: له حق الملكية العامة للموارد التي لا يستطيع أي إنسان العيش بدون توافرها له وللمخلوقات التي سُخرت من أجل تيسير معاشه وذلك مثل المال والمراعى والنار وكل عين ظاهرة كالنفط والفحم والكبريت أو حجارة ظاهرة في غير ملك لأحد. (د/ زينب صالح الأشوح، 1997، ص 124).

وذلك مصداقاً للحديث الصحيح: "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلاء والنار" (رواه أحمد وأبو دواد وابن ماجه وأبو عبيد في الأموال، ص 413).

الخلاصة:

بتتبع النصوص الشرعية الممثلة للمصادر المعرفية النموذجية الأساسية، تؤكد أن "الندرة" هي مصطلح يمكن أن ينطبق في حدود الإدراك المعرفي والمتاح والتطبيقي للبشر فقط، لكنها لا تتحقق أبداً في المصادر الإلهية الأصلية للموارد التي مهما بذل الإنسان مجهوده الأقصى من أجل حصرها فلن يستطيع أبداً ليس فقط لأنها متعددة كبنود وكمسميات فردية مستقلة، ولكن أيضاً لتعقد حصرها وتحديد كاصناف وتقسيمات تتداخل فيما بينها بحيث تتفرع إلى مصادر لانهائية من الموارد لانهائية الاستخدام والمنافع، بالإضافة إلى علم الله وحده بحقيقة المتاح من خزائن وموارد ونعم وأرزاق هو وحده - جل شأنه - موجدتها وخالقها والمتحكم الأوحده في توزيعها.

ولقد اتضح من النصوص الشرعية الصحيحة، أن الندرة هي حالة قدرها الله سبحانه وتعالى بشكل نسبي على البشر والخلائق، وأنه - سبحانه - قد أوضح (بعض) وليس (كل) الأسباب الضمنية التي يمكن الاستعانة بها من أجل تخفيف حدة الندرة الظاهرية أو المقدره، وأرشد البشر إلى كيفية تحسين أوضاعهم المعيشية باتخاذ أسباب بعضها مادية وملموسة وأخرى ترتبط بالجانب الروحاني وترتكز عليه.

وفيما يلي يتم عرض شكل (1-4) كصورة توضيحية مختصرة لبعض الوسائل المساعدة على التخفيف من حدة مشكلة ندرة الموارد والتعامل الإيجابي الفاعل معها:

جدول (1-3)

بعض وسائل المعالجة الإيجابية لمشكلة الندرة

وسائل تعبدية	الرشد الاقتصادي	العمل والسفر وتحري الحلال	عمل دنيوي وأخروي مزدوج	المصالح المتوافقة أو التوفيق بين الفرد والمجتمع
مثل: - الدعاء - الذكر - التسبيح - الاستغفار - التوبة - الرفقة الطيبة	- الاعتدال في الإنتاج والاستهلاك - إيتاء حق الغير	- التنقل والحركة نحو الأفضل تكسبا - تحرى العمل والمكسب والمستخدم الحلال - الإلتقان في العمل والمفاضلة	- العبادات - الإنفاق التطوعي - متابعة التعبد بالعمل التكسبي الدنيوي	- حرية الفرد في العمل وحق التملك - حق المجتمع في الموارد الضرورية للحياة للمعيشة الأساسية

المبحث الثاني

الموارد الطبيعية والمصدر الإلهي هو الأوحى لإيجادها وتوزيعها

كل الموارد الطبيعية بل والمنتجة بواسطة بشر هي إلهية المصدر والتوزيع الإجمالي

وتفيد تلك الجزئية من البحث في دحض المخاوف والمزاعم المتفشية بين الغالبية العظمى من البشر عن قصد، أو جهل أو غير ذلك - وفي إثبات الانعدام التام لفكرة محدودية الموارد الطبيعية والمعيشية للبشر بل ولجميع المخلوقات الأخرى، وتوضيح أن المحدودية الظاهرة هي حالة نسبية يقدرها الله سبحانه بدرجات متفاوتة لمسببات بعضها تم التعرف عليها، وكثير غالب منها لا يعلمها إلا الله.

أولاً: "لا توجد ندرة مطلقة في الموارد لأنها جميعها إلهية المصدر"، مسلمة لا تحتمل الجدل

1- الندرة تحدث فقط في الموارد المتاحة للبشر - أما المصدر الإلهي فلا ندرة مطلقة فيه.

• ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ (النحل: 96).

2- الندرة في الموارد المعيشية المتاحة للبشر هي بقدر من الله لحكم لا يعلمها سواه، والموارد في أصلها لا محدودة، لكن القدر المتاح منها للبشر هو المحدود.

• ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحجر: 19-21).

3- الرزق والموارد المعيشية مضمونة في الأصل لكل مخلوق وليس للبشر فقط:

• ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ (هود: 6).

4- جميع الموارد الطبيعية لها خزائن إلهية أصلية لا تنضب أبداً:

- ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ (المنافقون: 7).
- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ....﴾ (هود: 31).
- ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ (ص: 54).
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ (فاطر: 3).
- ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦١﴾﴾ (الملك: 21).

ثانياً: نموذج توضيحي مبسط للمنهج التوزيعي الإلهي الذي يقوم على العدالة والموضوعية:

ففي ظل النظم الوضعية تباينت أساليب وسياسات توزيع الموارد والدخول بشكل واضح، ومن أكثرها شيوعاً النظام التوزيعي الرأسمالي الذي يقوم على مبدأ الحرية التامة في المعاملات والتوزيعات، وإتباع ما يسمى بـ "اليد الخفية" كوسيلة للوصول إلى حالة توازن مجتمعي تلقائي في ظل نظام السوق الذي يقوم على الاهتمام بالفرد على حساب المجتمع، ويعطى أولويات الاهتمام والرعاية للأقوى على حساب الضعيف المنبوذ دائماً حتى أن كان يمثل الشريحة الاجتماعية الأكبر. أما النظام الاشتراكي أو الشيوعي، فعلى عكس النظام السابق، يعطى الأولوية للمجتمع على حساب الفرد حتى أن كان مبدعاً، نشيطاً، منتجاً و متميزاً، ويطبق مبدأ "من كل حسب قدراته إلى كل حسب حاجته" معتبرين هذا محققاً لما يطلق عليه "العدالة الاجتماعية" على الرغم من إنه يظلم الجاد والأكثر إنتاجاً حين يمنحه من ثمار العملية الإنتاجية قدرأ أقل مما قد يمنحه لآخرين أقل تميزاً لكن اعتبروا ذوى أولويات في الاهتمام وفي زيادة العطاء لهم وفقاً لمطالبهم التي قد يكون مبالغاً في تقديرها خاصة إذا ما قورنت بما تم تقديمه من عمل أو جهد في المقابل.

أما الله الكريم الحكيم العادل فقد أوضح لنا قاعدة توزيعية عامة تقوم على إرشاد الإنسان للنموذج السلوكي الصحيح، ثم منحه حرية الاختيار مع تحميله تبعات ما اختار وسعى إليه بالفعل ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ من كان

يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ (الشورى: 19-20).

وبالرجوع إلى الآيات القرآنية الكريمة، لوحظ أن المنهج الإلهي العادل في توزيع الموارد والأرزاق يقوم على شقين متقابلين وثالث وسط يمكن أن يطبق على الجميع بدون تمييز وفقاً للمشيئة الإلهية التي لا رد لها:

أ- أرزاق ومنح الدنيا تتاح أو تمنح للجميع بدون تمييز، لكن بتوزيع غير متساوي فلا بد من المفاضل التوزيعية.

ب- رفاهيات المعاش الدنيوية يختص بالتمتع بها أكثر أهل الدنيا ولا يستحب تمتع أهل التقوى بالكثير منها، لأن بعضها يخالف الضوابط الشرعية أو يصرف عن الاهتمام الصحيح أو الكافي بالوفاء بمتطلبات الآخرة مخلدة المقام والمصير.

ج- الدين يمنح للمؤمنين والتوابين والمرضي عنهم من الله، أو لفئات ترضى مشيئة - سبحانه - منحهم استثناءات ما.

وفيما يلي بعض التفاصيل البرقية حول بعض النماذج التوزيعية كما ورد بالقرآن الكريم:

1- الدنيا تمنح للجميع بدون تمييز لكن مع المفاضلة في كم وكيف العطاء من أجل ديمومة التواصل البشري وعمليات الإعمار للكون:

• ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (الإسراء: 20-21).

• ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الزخرف: 32).

• ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا ﴾ (الزخرف: 32).

• وحكمة المفاضلة ضمان التواصل البشري وإعمار الكون وتيسير وتنفيذ مهام الخلافة البشرية على الأرض (وذلك كما اتضح من الآيات السابقة)، بالإضافة إلى تحقيق حالة التوازن السلطوي المجتمعي قليلاً لحالات الظلم وذلك من خلال بث روح التنافس الإيجابي الدافع للجميع وتحقيق مناخ أمني متوازن كما يتضح من الآية التالية: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج: 40).

• والمفاضلة في الرزق تكون أيضاً من أجل توجيه كل إنسان لما خلق من أجله. "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 3410، ص 641)

• ومن أكثر نماذج المفاضلة وضوحاً، الاختلاف الخلقي والوظيفي (القدري) بين الرجل والمرأة لأن الله تعالى خلق كل منهما من أجل إنجاز هدف معين ودور معين، بحيث تحدث منافسة تكاملية بين الطرفين تنتهي بتعظيم المنافع المعيشية في الحياة، أما عن الحملات المُفتعلة التي تركز على التمكين المطلق للعنصر النسائي في كل شيء حتى لو كان هذا على حساب حقوق الرجل ومستحقاته فكلها مخطئة لأنها تقوم على مبدأ أساسي خاطئ يدعى (ندرة وعدم كفاية) ما تحصل المرأة عليه من حقوق حتى الاقتصادي منها مع أن المسألة تقوم على منهج إلهي توزيعي يراعى المنح بما يتلاءم مع المهام والقدرات وبهذا يكون كل متميز على الآخر بشيء مختلف ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء: 32).

• "الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقه بورك له فيها، ورب متخوض فيها اشتتت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 3410، ص 641).

• ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (البقرة: 201-202)

2- رفاهيات الدنيا وحدها يرتكز عطاؤها لأهل الدنيا وأحياناً يكون هذا استدراجاً وعقاباً: وكما ذكر سابقاً، فالعطاء الإلهي ليس محظوراً على أحد، لكن لو اقتصر العطاء (فقط) على الموارد والأرزاق المرتبطة بمباهج الدنيا ومغرياتها التي حذر القرآن من (الانغماس) فيها و (الانشغال) باستجلابها، و(إدمان) تملكها واستخدامها، هنا لا بد على الإنسان ألا يفرح بمثل هذا العطاء، فغالباً ما يكون ابتلاء شديداً من الله له في كيفية استغلال العطاء الممنوح وفقاً للتوجيهات (الربانية)، والأغلب أن يكون من قبيل الاستدراج، بل والعقاب الإلهي الغاضب من شدة معاصي عبده فيعطيه الدنيا حتى لا يتبقى لديه شيء يدخر لحسابه في الآخرة مخلدة العواقب.

• ﴿ وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُنتُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الزخرف: 33-35).

• ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطْمِئِئِنَّا لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَطْمِئِئِنَّا لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (آل عمران: 178).

• ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (التوبة: 55) (وتكرر نفس المعنى في آية 85 من نفس سورة التوبة).

• "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج 1، 3412، ص 641).

- ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٣٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (البقرة: 200-202).
- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود: 15-16).
- ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (العنكبوت: 64).
- وعلى وجه العموم فإن مباحج الدنيا يجب ألا تمثل الهدف الأساسي لأي مؤمن رشيد التبصر لأنها كلها منافع مؤقتة. "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (رواه البخاري).
- ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران: 14).
- 3- الدين، ومنافع الآخرة تمنح فقط لمن يرضى الله عنهم من عباده المؤمنين والمتقين والتوايين.. الخ
- بدءاً، على العكس ما قد يعتقد بعض العموم، فإن تمتع بعض الأصفياء بمنافع الآخرة لا يعنى أبداً أنهم سوف يجرمون بالكامل أو في المطلق من منافع الدنيا. وذلك كما تم التنويه إليه سابقاً وكما تؤكد الآية الكريمة الآتية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ (النساء: 134).
- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الروم: 14-15).
- "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها" (رواه البخاري)

- ﴿ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا لِقَلِيلٍ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْفَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَنِيلاً ۗ ﴾ (النساء: 77).
- ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۗ ﴾ (الكهف: 46).
- ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَدَّ عَمَلُ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ ﴾ (طه: 75-76).
- ﴿ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۗ ﴾ (طه: 75-76).
- ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۗ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۗ ﴾ (الفاتحة: 6-7).
- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنَجَّى النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ۗ ﴾ (الجن: 16).
- ﴿ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۗ ﴾ (الجن: 17).
- ﴿ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٍ ۗ ﴾ (هود: 106-108).
- الجنة هي خير موارد وثمار الآخرة ﴿ الَّذِينَ نُوفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ (النحل: 32).
- من ثمار الدين التمتع بولاية الله، وتحقيق الأمن والأمان الداخلي والعام
- ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ ﴾ (يونس: 62).
- من ثمار الدين في الدنيا المحبة الحقيقية، وفي الآخرة سكنى الجنة وخيرات أخرى تفوق التصور البشري
- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾ (آل عمران: 71).
- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ ۗ ﴾ (التوبة: 71-72).

• تيسير الأمور والصعوبات وحلول تلقائية للمشاكل ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۗ ﴾ (الطلاق: 4).

• التوجيه إلى المنجيات المربحات، وصرف المرضي عنهم عن مسببات العقاب الإلهي والمعاناة من الندرة التي تحدث نتيجة المعاصي وموالاته المنحرفين والإعداد التأهيلي للاقتصاد الرشيد النموذجي.

• ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ (الحجرات: 7).

الخلاصة:

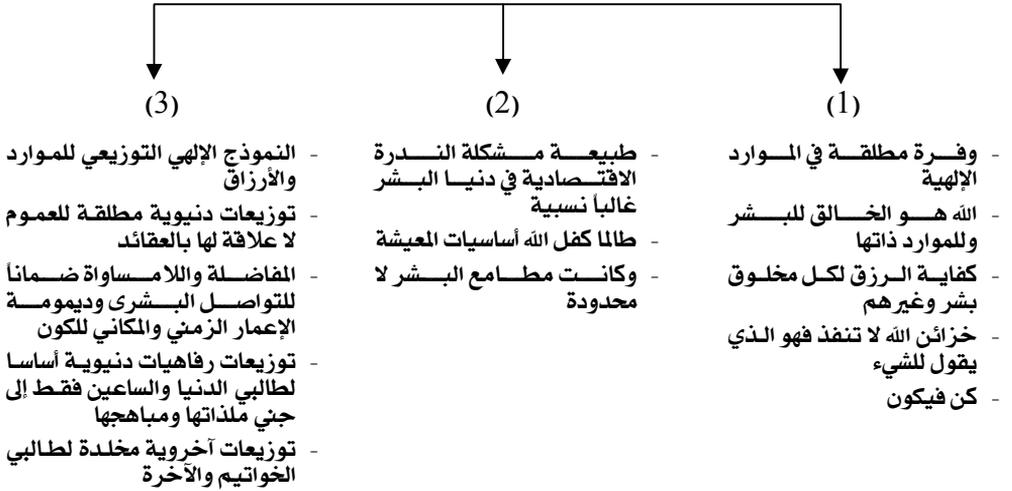
إن الله تعالى هو الخالق لكل شيء وبالتالي فليس من المنطقي ولا المقبول أن نعتقد بوجود محدودية في الموارد لأن خالقها هو الله الذي أكد لنا على أن يضمن كفاية الاحتياجات المعيشية لكل دابة مخلوقة تدب على الأرض الدنيا، ولكن ما يبدو للبشر من محدودية فهو حالة نسبية مقدره لحكم إلهية أوضح لنا بعضها وأخفى الكثير الآخر منها. واستنباطا (اجتهاديا) لما تقدم، يمكن القول بأن المحدودية تقترن بجوهر قاعدة التوزيع الإلهي المقصود للموارد الذي يقوم على اللامساواة (التكافؤية) وعلى ضرورة المفاضلة حيث يعتقد أن الحكمة من تلك المفاضلة تحقيق العدالة التوزيعية بحيث تتم بناء على: (لكل وفق الدور الذي خلق من أجله، ووفقا للابتلاء الموجه إليه،، وبما يتلاءم مع جهده وعمله)، مع ضمان التواصل الاجتماعي واستمرارية حاجة كل إلى الآخر بما يتحقق معه ديمومة الإعمار والاستخلاف البشري كما قدر له.

مزيد من التوضيح لأهم ما تضمنه الجزء الحالي يتضح في نقاط يتم عرضها من خلال

شكل (5-1) التالي:

شكل (1-2)

الموارد بين الوفرة الإلهية المتاحة والندرة النسبية البشرية والتوزيعية



نموذج نظري مبسط لتصنيف الموارد والأرزاق إلهية المصدر بشكل مباشر:

من المنظور الوضعي عندما يتم تناول مصطلح (الموارد الطبيعية)، يقصد به الموارد التي توجد به (الطبيعة) التي ارتضى المنكرون لوجود إله وخالق بأن يعتبرونها إلهاً وخالقاً بديلاً لكن بمفاهيم تتلاءم وتوجهاتهم الإلحادية المخطئة حيث يقصد بالموارد الطبيعية Natural resources كما يتردد اصطلاحاً: أي مورد أو شيء "توجد به الطبيعة" (!!) مثل الأرض والخامات المعدنية والغابات والثروة السمكية والبتروول وخصوبة التربة وأحوال المناخ الملائمة لنمو المحاصيل... إلخ.. حيث تعتبر الموارد الطبيعية إحدى عوامل الإنتاج الرئيسية، كما تعتبر عاملاً حيوياً مؤثراً على الميزة النسبية للمنتجات التي تعتمد عليها في التصنيع والمبادلات وغيرها. (تحسين التاجي الفاروقي 2009، ص 305)

وجدير بالملاحظة في هذا الصدد، أن إطلاق صفة (الطبيعية) للموارد قد يقبل إذا ما قصد بها تطبيق معيار من أجل التمييز التصنيفي للموارد عن تلك التي لا يكون للبشر دور في تواجدها أو توافرها أو تصنيفها، لكن تلك الصفة ترفض تماماً لو تم إطلاقها

بصفتها منتجة من قبل (الطبيعة) التي هي في الأصل (مخلوق) من قبل خالق أوحد لكل شيء. وتجنباً للخلط، فإنه يفضل استخدام مصطلح بديل أكثر مصداقية لحقيقة الموارد المقصودة وهو (الموارد إلهية المصدر) مع التصديق الكامل بأنه حتى الموارد والمنتجات بشرية التصنيع هي في حد ذاتها (إلهية المصدر) لكن بشكل غير مباشر وذلك عملاً بالتوجيه النبوي الذي لا ينطق عن الهوى "إن الله تعالى صانع كل صانع وصنعتة" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 1777، ص 366)

وقد تكتسب الموارد الطبيعية (كوصفها البشر) صفة (المال) وذلك استرشاداً بما ورد بحديث نبوي يوضح فيه الحكمة من إتاحة تلك الموارد للبشر، ومن ضرورة حسن استغلالها وتسخيرها من أجل تحقيق الهدف الأسمى من وجود البشر على الأرض وهو عبادة الله عز وجل وأداء الامتحان الإلهي الموكل إليه، وفي هذا يقول النبي ﷺ: "إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون له ثاب، ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 1781 - 789، ص 366).

• ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56).

وبناء عليه، فعلى الرغم من أن الأصل في التشريع الإباحة، فإنه ليس بشرط أن تكون كل المتاحات من لموارد الطبيعة. أو إلهية المصدر مباح استغلالها بشكل مباشر (مثل الخنازير) أو تحويلي أو غير مباشر (مثل الخمور المستخرجة من ثمر العنب الحلال استخدامه على حالته) ومن هذا، يمكن أن تصنف الموارد إلهية المصدر إلى مباحة ومحرمة بالمطلق أو جزئياً.

كما يمكن تصنيف الموارد المعنية من منظور مختلف يقوم على (طبيعة) المنافع والاستخدامات المرتبطة بها وهناك أيضاً تصنيف ثالث يقوم على طبيعة المورد ذاته إن كان مادي أو معنوي، دائم، أو مؤقت.. إلخ.. وهذا التصنيف هو الأفضل تطبيقاً لأنه الأكثر شيوعاً وقابلية للتطبيق على جميع الموارد المعنية، بحيث يمكن كخطوات تالية بعدها أن يشار إلى التصنيفات الأخرى كمشتقات توصيفية تصنيفية فرعية لها.

• ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٦) ﴿(النمل: 61).

• الجبال كمكان سكنى وكمتمتزه وكوسيلة لدعم الأرض وحمياتها من الزلزلة ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦) ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧) ﴿(النبأ: 6-7).

• ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٣٢) ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْمُلَكُمْ﴾ (٣٣) ﴿(النازعات 32-33).

• ﴿وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا أَمِينًا﴾ (٨٢) ﴿(الحجر: 82)، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ﴾ (١٤٩) ﴿(الشعراء: 149).

• الجبال كبيوت لمخلوقات أخرى نافعة كالنحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ﴿(النحل: 68).

3- البحار (والمحيطات والبحيرات وما شابهه)، كمصادر للغذاء من أسماك وملح وطعام وغيره، ووسائل زينة من لؤلؤ وقواقع مبهرة، ووسيلة انتقال مائي تكمل وسائل الانتقال الأرضية وتشمل على مباحج السياحة وتيسير الاتصالات بالدول الأخرى.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤) ﴿(النحل: 14).

4- الأنعام كمخلوقات متنقلة تتواجد على الأرض من أجل إنجاز أدوار ومهام ومنافع مقدرة لها مثل استخدامها كغذاء وكوسائل للتنقل، ووسائل للترفيه أو التسلية، وكجلود ساترة للأجساد وكوسائل تدفئة وفرش للجلوس والنوم... إلخ.

• ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦) ﴿وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لِمَ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) ﴿(النحل: 5-8).

• ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَاعِلَمُونَ﴾ (٦١) ﴿(النمل: 61).

• الجبال كمكان سكنى وكمتمتزه وكوسيلة لدعم الأرض وحمياتها من الزلزلة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦) ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧) ﴿(النبا: 6-7).

• ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٣٢) ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْمُلَكُمْ﴾ (٣٣) ﴿(النازعات 32-33).

• ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ (٨٢) ﴿(الحجر: 82)، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ (١٤٩) ﴿(الشعراء: 149).

• الجبال كبيوت لمخلوقات أخرى نافعة كالنحل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ﴿(النحل: 68).

3- البحار (والمحيطات والبحيرات وما شابهه)، كمصادر للغذاء من أسماك وملح وطعام وغيره، ووسائل زينة من لؤلؤ وقواقع مبهرة، ووسيلة انتقال مائي تكمل وسائل الانتقال الأرضية وتشمل على مباحج السياحة وتيسير الاتصالات بالدول الأخرى.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤) ﴿(النحل: 14).

4- الأنعام كمخلوقات متنقلة تتواجد على الأرض من أجل إنجاز أدوار ومهام ومنافع مقدرة لها مثل استخدامها كغذاء وكوسائل للتنقل، ووسائل للترفيه أو التسلية، وكجلود ساترة للأجساد وكوسائل تدفئة وفرش للجلوس والنوم... إلخ.

• ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦) ﴿وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لِمَ تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) ﴿(النحل: 5-8).

• ﴿ وَإِنْ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُؤْذِنَهُمْ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (النحل: 66).

5- النحل كمصدر متكامل لمجموعة منافع ضخمة غذائية وعلاجية وغيرها

• ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ... ﴾ (النحل: 69).

6- الموارد الغذائية من مزروعات وثمار

• ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (النحل: 67).

• ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: 141).

والمواقع أن آية محاولة لخصر ذلك الجانب المادي من الموارد لا بد أن تبوء بالفشل الذريع، لأنه يتشعب كثيراً بصنوفه الأساسية كثيرة التفرع والتداخل - بدورها - مع التعدد صعب الحصر لخصائص كل صنف من تلك الموارد حتى أن بدت ملموسة للعيان. وصدق الله العظيم في قوله ﴿ وَإِنْ نَعُدُوا نَعَمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها ﴾ (إبراهيم: 34). لهذا، يجب التوقف عند هذا القدر من الأمثلة وليتم الانتقال إلى عرض أمثلة من الأصناف الأخرى من الموارد الإلهية صعبة الحصر وصعب إتيانها قدره من الشكر وحسن التبصر.

ثانياً: الموارد الكونية الميسرة للمعاش وللأنشطة:

وهي موارد نادرة بل فريدة لا وجود لها أبداً في دنيا الصناعة البشرية ولا يمكن أن يدعى بأن له أي دخل في توفيرها، وبدونها تتوقف المعاش الطبيعية لجميع المخلوقات، ومع هذا فهي مغبون حقها في التقدير والتقييم الحصري البشري لها باعتبارها موارد اقتصادية من حيث منافعها، ومجانبة من حيث المقابل الصفري المدفوع للحصول عليها، بل وقد نال الكثير منها ظلماً من الإنسان الذي تم تسخيرها من أجل تيسير معاشه وذلك بإساءة الانتفاع بها بتهور سلوكياته في التعامل معها، مما تسبب - مثلاً - في التأثير السلبي

على المناخ وإحداث ثقب بالأوزون الذي يندر بكوارث خطيرة. وعموماً فلنركز هنا على الجانب المضيء بالتعرف على بعض الأمثلة لتلك الموارد المغبون حقها.

1- تعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم لتقديم منافع خدمية معيشية بالغة التنوع:

• ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي ﴾ (النحل: 12).

• ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (يونس: 5).

• ﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: 16).

• ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ (يونس: 67).

• ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِيَاسًا وَاللَّيْلَ لِيَاسًا وَالنُّجُومَ سُبُحَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: 47).

• ﴿ وَجَعَلْنَا لِيَلِّ لِيَاسًا ۝۱۰ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝۱۱ ﴾ (النبأ: 10-11).

2- البرق والرياح والظواهر الطبيعية لأداء وظائف وأدوار تيسيرية مختلفة لديمومة المعيش والإعمار

• ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم: 24).

• ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝۳۲ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۝۳۳ ﴾ (الشورى: 32-33).

3- الغيث أو المطر النافع الذي يتكون من السحاب وينزل من السماء كمصدر للشرب والاستزراع والاستشفاء وتخصيب الأراضي وتنظيف البيئة، ومنافع أخرى يصعب حصرها مما نؤكد إنه لا ندرة أصلاً في مورد "الماء".

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَذَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ (النحل: 60).

﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (النحل: 65).

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (النحل: 10).

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الأَنْفَال: 11).

ثالثا: موارد معنوية وترويحوية واسترخائية ومحددة للنشاط والصحة: ومن الأمثلة القليلة على ما لا يمكن أن يحصى منها:

1- النوم المريح الكافي غير المتقطع ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ (الفرقان: 47).

2- المشاعر من ضحك وفرح وشعور بالإيمان وعدم الخوف وغيرها بالإضافة إلى مقابلات تتوازن معها الأحوال من بكاء وخوف...؟!.

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (النجم: 43).

﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (الروم: 4).

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هَذَا لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 38) توجد آيات كثيرة متعددة بهذا المعنى.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (آلِ الْأَنْبِيَاءِ ٢٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ (قريش: 3-4).

الخوف المحمود هو الرادع عن المعصية وهو المصحوب بالطمع في رحمة الله ومعينه "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا"

﴿ وَمَنْ أَيْسَرَهُ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (الروم: 24).

- ﴿وَلَيْبَدِلْتُهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: 55).
- النعاس كوسيلة استرخاء وتجديد نشاط وتخلص من المشاعر المرهقة أو المشتتة بفعل تقلبات المواقف والأحداث المعيشية المستمرة ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال: 11).
- 3- معية الله للصالحين من عباده وتسخير جنوده (الصعب حصرهم) لدواعي الدعم والحفظ بأشكال مختلفة

• ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَّكُمْ النَّاسُ فَأَؤْتِكُمْ وَأَيَّدِكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: 26).

• ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام: 61).

• ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: 4).

• ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: 26).

4- شرح الصدور والسكينة والتيسير

- ﴿الْمَنْشَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: 1).
- ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) ﴿وَأَحِلِّ عُنُقَهُ مِنَ لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨) (طه: 25-28).
- ﴿أَمَّنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الزمر: 22).
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤) (الفتح: 4).
- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ (يونس: 26).

- ﴿ وَيَذْهَبَ غِيْظَ قُلُوْبِهِمْ ۗ ﴾ (التوبة: 15).
- القبول، والصيت والهيبه ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۗ ﴾ (الشرح: 3).
- الملك والهيمنة ﴿ قُلِ اَللّٰهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝۳۶ ﴾ (آل عمران: 26).
- الحكمة والفكر العقلاني الصائب الرشيد ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا وَمَا يَذْكُرُ اِلَّا اَوْلُوْا الْاَلْبَابِ ۝۳۷ ﴾ (البقرة: 269).
- التأليف بين القلوب المتنافرة بما يحسن الإنتاجية وثمار الأنشطة ﴿ وَاذْكُرُوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَاءً فَاَلْفَ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِۦٓ اِخْوَانًا ۗ ﴾ (آل عمران: 103).

رابعاً: موارد محرمة أو ضارة في المطلق أو جزئياً وتتطلب التعامل معها بحذر أو بتنقيحات معينة

- ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيْرِ وَمَا اُھَلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِۦٓ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوْذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيْحَةُ وَمَا اَكَلَ السَّبْعُ اِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلٰى النُّصُبِ ۗ ﴾ (المائدة: 3).
- ﴿ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيْهِمَا اِثْمٌ كَبِيْرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَاِثْمُهُمَا اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (البقرة: 219).
- فإن كان الخمر المنتج البشري من العنب حراماً، فالعنب كموارد إلهي أصلي حلالاً بل ونعمة من الخالق:
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَاَسْكَنْتُھُ فِي الْاَرْضِ وَاِنَّا عَلٰى ذَهَابِہِۦ لَقَدِيْرُونَ ۝۱۸ فَانۡشَاْنَا لَکُمْ بِہِۦ جَنَّاتٍ مِّنۡ نَّحِيْلِ وَاَعۡنَبٍ لَّکُمْ فِيْہَا فَاوَاكِۡہُ کَثِيْرَةٌ وَمِنْہَا تَاْكُلُوْنَ ۝۱۹ ﴾ (المؤمنون: 18-19).

• ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا بَحَاً ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَنَا ﴿٣١﴾ مُنْعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴿ (عبس: 24-32).

• ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴿ (البقرة: 173).

• "نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن أكل ذي مخلب من الطيور" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 2، 6859، ص 1157)

خامسا: الإنسان أيضا مورد طبيعي لأنه من خلق الله وجاء من خلال استزراع بشري وأصبح هو ذاته أحد العوامل الأساسية للإنتاج ولتحقيق إعمار الكون المستدام.

1- أصل مادة خلق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ ﴿ (الحجر: 26).

2- من الموارد المكتملة في خلق الإنسان الطبيعي حتى تتحقق الوظائف المستهدفة من تواجده الاعماري على الأرض.

• ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْئَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴿ (البلد: 8-10).

• ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴿ (العلق: 5).

3- خلق نوع مزدوج من أجل التزاوج وحفظ النسل وبقاء البشرية في إتمام أمانة الخلافة على الأرض.

• ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴿ (الروم: 21).

4- الأسرة الممتدة من الموارد الإلهية المغبون حقها في التحليل الاقتصادي الوضعي مع أنها تعتبر بمثابة مجتمع اقتصادي متكامل

• ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (النحل: 72).

5- اكتساب حبّ الآخرين خاصة الزوجة، من الموارد المعنوية الدافعة للفعاليات المعيشية الإيجابية.

• قال رسول الله ﷺ واصفاً حبه لخديجة رضي الله عنها: "إني رزقت حبها" رواه مسلم

• "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" رواه مسلم

• "إذا أحب أحدكم أخاه، فليعلمه إنه يحبه" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 11528 ص 113).

• "إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادى في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض، فذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (١١) ﴿ (مریم: 96) وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني أبغضت فلاناً، فينادى في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض" (صحيح الجامع الصغير وزيادته مج 1، 284 - 117، ص 114).

6- الحب والالتزام كأساس شرطي للمعاملات البشرية المجتمعية الفاعلة ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة: 54).

7- الملك والعزة والجاه ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: 26) وهذا المورد يمكن أن يصنف أيضاً هو والحب والالتزام في فئة الموارد المعنوية غير المحسوبة، لكن تم ضمها هنا باعتبارها لصيقة بمواصفات وخصائص الإنسان والتي تؤثر في حالته المهنية كرئيس أو كمرءوس وبالتالي تعتبر من ضمن محدداته كعنصر إنتاجي مهني.

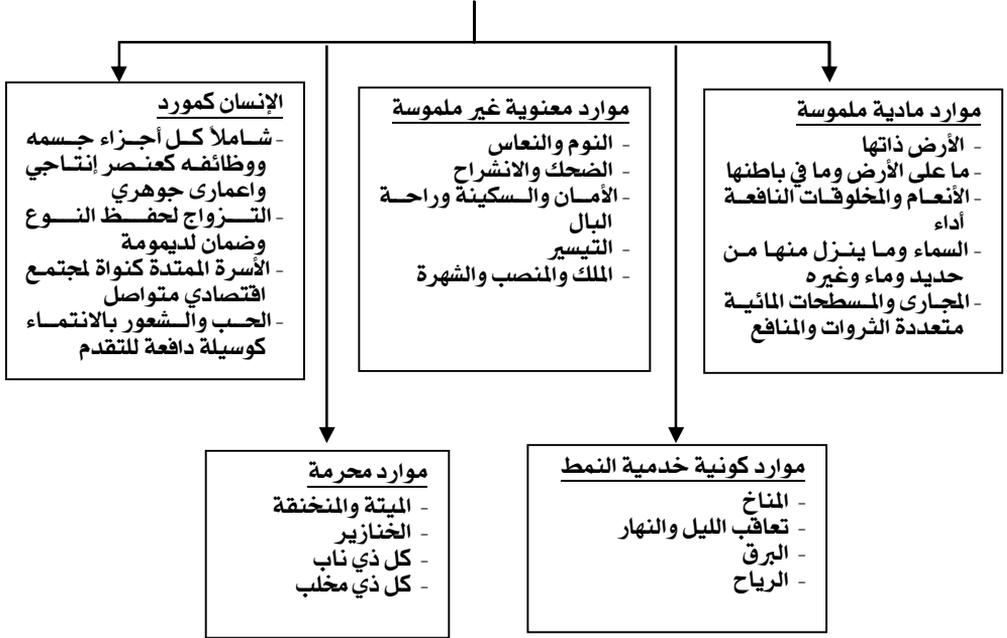
الخلاصة:

إن الموارد الإلهية يصعب بل يستحيل حصرها وتحديدتها بشكل منفرد أو منفصل أو جماعي، وهي ليست متعددة فقط من حيث الكم، لكنها أيضاً تتداخل وتتشابك ويتوالد عنها أعداد لانهائية من المنافع البشرية المباشر وغير المباشرة - لكن هذا لا يمنع من محاولة تحديد صورة حصرية تصنيفية تقريبية للأصناف التي يمكن أن تتواجد الموارد الطبيعية من خلالها.

وبعرض المحاولة التصنيفية الجارية، اتضح أن هناك أنواع كثيرة من الموارد الطبيعية، أكدت النصوص الشرعية على منافعها الاقتصادية والمعيشية، ومع هذا جهلها الإنسان أو تجاهلها في كتاباته وتقريراته المعتادة، ومنها الموارد المعنوية والموارد الكونية غير الملموسة وهو ما يتطلب إعادة النظر في تأصيل هذا الموضوع التقديرى الحيوي.

وفيما يلي موجزاً للصورة الجارية حول أهم أنواع الموارد والأرزاق إلهية المصدر وهو ما يتضح من خلال شكل رقم (1-6) التالي:

شكل (3-1)
أهم أشكال الموارد والأرزاق إلهية المصدر



المبحث الثالث

لمحات حول الواقع البيئي بين اليأس والرجاء

في الفصلين السابقين، تم عرض تحليل تصنيفي موجز لمصطلح الندرة كما ورد ببعض النظريات الاقتصادية الشهيرة، ثم تأصيل توضيح ذلك المفهوم بالاستعانة بالنصوص الشرعية، مروراً بعرض توضيحي موجز لبعض الأشكال الهامة للموارد الطبيعية الاقتصادية على ضوء ما عرضته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من دلالات إلهامية داعمة لصحة العروض الحالي - وبهذا أصبح لدينا صورة توضيحية نظرية شبه متكاملة حول ماهية الموارد الطبيعية الاقتصادية، وطبيعة ما تبدو عليه من حالة ندرة، مصحوب هذا، ببعض التوجيهات التي تساعد على كيفية التعامل الصحيح مع مشكلة ندرة الموارد، وكيفية الوصول إلى حالة الإشباع العقلاني وليس البشرى الجامح بطبعه.

وبعد الانتهاء من الاستعراض النظري التوضيحي السابق، علينا أن ننزل إلى أرض واقعنا المعيشي المعاصر الذي قد يذخر بالكثير من مظاهر الشر (الناجم عن سفاهة سلوك البشر)، ولكنه لا يخلو مؤكداً من منابع ومكامن فرص لاستجلاب خيرات ومنافع تتاح للإنسان، الخطاء بطبعه، برحمة الله مالك هذا الكون وبفضله، وسوف يتم ذلك في الفصل الجاري من خلال إلقاء الضوء على ما يحدث في عالمنا البيئي المعاصر من منذرات تستحق التجنب وفورية المعالجة، ومأمولات تستلزم الرعاية والتطوير من أجل التقليل من حجم المشاكل الاقتصادية الراهنة وتحويل الممكن منها إلى حلول ووسائل لتحقيق وفرة متنامية في الموارد والإمكانات.

بعض المنذرات التي تهدد بتدهور الموارد وتلوث البيئة والخلل الطبيعي التوازني

أولاً: ابتداع نظريات ونظم استراتيجيات اقتصادية مدمرة لاقتصاديات الدول المستضعفة والمستنفذة لمواردها لصالح الدول القوية ومنها:

1- نظرية قارب النجاة (1973م) " جاريث هارون " أمريكي الجنسية:

حيث تصور النظرية، دول العالم الغنية كمجموعة متميزة تعيش داخل قارب لا يكفى إلا لهم، بينما تسبح بقية دول العالم في بحر الجوع، لهذا، تحاول تلك الدول المنكوبة التثبيت بقارب الأغنياء للتخلص من بؤس حالتهم وللاستفادة بما لديهم من موارد - والنظرية تحذر من أن يسمح أهل القارب لهؤلاء المنكوبين بالاقتراب حيث يقلبونه بركابه فيغرق الجميع نتيجة لزيادة الحمولة المؤكد حدوثها على المركب المعد فقط لركابه الأصليين، وبالتالي تطالب النظرية بقطع المعونة فوراً عن البلاد التي لا تتبع وسائل تحديد النسل وذلك باعتبار الزيادة السكانية سببا في معاناتهم وفي تهديد الأمن الغذائي والمعيشي للدول الغنية أيضاً (محمد سيد محمد، 1988، ص 116)

2- النظام العالمي الجديد:

الذي بدأت برائن ظهوره في مايو 1974 وقت انعقاد الدورة الخاصة بالجمعية العامة للأمم المتحدة والتوصية بأن يكون العالم كله بمثابة قرية واحدة متكاملة، مع إلغاء أية حواجز تفصل بين الدول وتميز فيما بينها، أيا ما كانت طبيعة تلك الحواجز (جغرافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، دينية... الخ)!! وتحقيقاً لتلك الحالة المقترحة، فرض على الدول الضعيفة ضرورة اتباع ما يسمى بسياسات الإصلاح الهيكلية من أجل إحداث حالة تقارب بين اقتصاديات دول العالم والوصول إلى حالة تكافؤية تسمح لها بالمشاركة المعيشية على الأرض مع الدول القوية الأخرى على ذات المستوى الاقتصادي المتقدم الذي تتمتع به الدول المتقدمة والغنية! ولكن هذا المنهج التنموي الجديد المفروض على الدول الضعيفة، تسبب للأسف في إهلاك وتبديد كثير من الموارد الطبيعية واختلال الكثير من التوازنات الطبيعية، حيث فاقت المطلوبات الإصلاحية المفروضة (بحكم الاتفاقيات الدولية المرتبطة بهذا النظام) القدرات الفعلية للدول الصغرى والضعيفة والمتخلفة خاصة

تلك التي تقوم اقتصادياتها على أنشطة أولية أو شبه بدائية مثل الأنشطة الزراعية والتعدينية غير الصناعية.

ثانياً: التدهور البيئي المناقض لأهداف التنمية المستدامة للموارد:

فمنذ التسعينيات، والعالم أجمع يعاني من تفاقم المشاكل البيئية متعددة المظاهر وخطيرة العواقب حتى أنها بلغت في فترة التسعينيات وحدها أكثر من عشرة آلاف مشكلة بيئية من أبرزها تلوث الهواء والماء أو الملوحة والتصحر ونضوب كثير من الموارد الطبيعية خاصة من مصادر الطاقة (مثل البترول والفحم) وضمحلل طبقة الأوزون وتزايد الضوضاء إلى حد التلوث السمعي، وتآكل الشواطئ، وغرق أعداد متزايدة من المدن الساحلية، وتعرض أعداد متزايدة من الكائنات الحية للانقراض (رجب السيد، 97، ص 40 - 43، محمد الزوكة، 2000، محمد الفقي، صفحات متفرقة)

وقد أشير في الدراسات المتخصصة إلى أسباب كثيرة لحدوث المشاكل المذكورة منها التقنيات الحديثة والثورة الكيماوية وتفشى الصراعات المسلحة، وسوء استغلال الموارد الأولية، وتراكم النفايات النووية... إلخ (محمد الزوكة، 2000، محمد الفقي، 93، حازم الببلاوي 1997، ص 294)

ثالثاً: تفشى الفساد Corruption والجرائم الاقتصادية Economic Crimes خاصة في الدول النامية.

هناك أشكال متعددة من الفساد الذي تفشى وأصبح ظاهرة، بل أسلوب حياة مفروضة يتسبب في إحلال الرديء محل الجيد والطالح مكان الصالح - ومن الأمثلة عليه: الفساد الإداري، الفساد السياسي، الفساد الوظيفي، الفساد التعليمي.. والفساد الاقتصادي الذي يشمل الجرائم الاقتصادية المتنامية ومن أهم أشكال الجرائم الاقتصادية التي أثرت سلباً على تدهور البيئة والموارد، الزحف العمراني غير المقنن على الأراضي الزراعية الخصبة مع ابتداء استصلاح الأراضي وإعمار مناطق الظهير الصحراوي كبديل لأراضي خصبة متاحة لكن يتم إهدارها بيد ذات البشر (!)، وكذلك انتشار المناطق العشوائية والتعدي على الأراضي المملوكة للدولة مثل تلك التي يتم إنشائها على ضفاف النيل في مصر ويتسبب في تلوث

مياهه وتشويه الجمال الساحر للمنطقة المحيطة به، والمبالغة في قطع الأشجار المعمرة للانتفاع بأخشابها، واللجوء إلى حرق المخلفات الزراعية الملوثة للهواء - والمبالغة في استخدام المبيدات الكيماوية الزراعية وفي استخدام الهرمونات والجينات الوراثية لتسمين المواشي والطيور وتحسين (النوع!!)، كما زادت حالات الغش في تسويق الأعلاف والأسمدة حتى تلك التي يتم استيرادها من الخارج مما يتسبب في حدوث حالات كثيرة من العفن المهدر لمحاصيل كاملة كما حدث للبطاطس المصري المصاب بالعفن على مدى عدة أعوام متتالية نتيجة لاستخدام أسمدة كيماوية فاسدة مستوردة من بريطانيا.

ولقد تم تقدير قيمة تكلفة الفساد والجرائم الاقتصادية بما يتراوح بين 3٪ إلى 5٪ من قيمة عوائد الاقتصاد العالمي، وفي عام 2002 قدرت قيمة خسائر إجمالي اقتصاديات الدول الإفريقية نتيجة لتفشي ظاهرة الفساد الاقتصادي فيها، ما يعادل 25٪ من إجمالي قيمة ما تحقق من الناتج القومي في الاقتصاد الإفريقي ككل. (د/ أحمد معبد، 2012، ص 10، 11)

رابعاً: تفاقم الأزمات الاقتصادية المتوالية العالمية واستمراريتها:

ومن أهم ما حدث منها خلال القرن العشرين وما يليه.

1- الأزمة الاقتصادية 1923-1929 م

وحدثت في الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في عام 1914 (والتي قيل كمبرر لاندلاعها أنها قامت من أجل إقامة عالم جديد أفضل) (هندريك فإن لون، 58، ص 223) وكان من عواقبها المخيفة حدوث شبه مجاعات، ووقوف المواطنين في طوابير كبيرة للحصول على خبز (قديم) تم إعداده من أسبوع أو أكثر (د/ زينب صالح الأشوح، 2010، ص 23)

2- الأزمة الاقتصادية يوم الاثنين - أكتوبر 1987 م

حدثت في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، واعتبرت دليلاً على فشل متخصصي الاقتصاد في تطبيق توقعاتهم الاقتصادية المبنية على حسابات دقيقة، حيث حدث انهيار مفاجئ في البورصة في هذا التاريخ مخالفاً لكل التنبؤات المعلنة.

3- الأزمة الاقتصادية الجماعية الآسيوية، أكتوبر 1997م

وحدثت تلك المرة لدول جنوب شرق آسيا المعروفة آنذاك بصفة "النمور الآسيوية" وكان سببها ضخامة أعباء القروض الائتمانية، حيث امتدت الأزمة إلى دول أخرى مثل روسيا والبرازيل (المرجع السابق، ص 26، 25)

4- الأزمة الأمريكية الأوروبية، الاثنين 15/9/2008م

نتيجة للإفراط في عملية الإقراض، دون وجود احتياطي سيولة كاف من ناحية، ولا وجود ضمانات كافية للسداد من ناحية أخرى. (المرجع السابق ص 30، 28)

وحتى الآن، تعاني دول العالم في غالبيتها العظمى من أزمات اقتصادية عالمية جديدة تبدأ بإعلان إفلاس الكثير من المصارف والشركات، ثم تمتد لإشعال معدلات التضخم مما يتسبب بدوره في تراجع عمليات تنمية الموارد الطبيعية والحفاظ على إنتاجيتها الطبيعية مما أدى بالتبعية إلى تنامي أزمات إنتاجية للمتاح من الموارد، أو استخراجية أو استصلاحية أو استزراعية.

خامساً: تفشى الصراعات بين الغالبية العظمى بين دول العالم وانتشار الحركات الإرهابية مجهولة الهوية

وقد صاحب هذا تنامي وتكثف محاولات ما زالت جارية من أجل إعادة تقسيم الحدود الدولية، وإلغاء منطقة الدول العربية وإحلال ما يسمى (بالشرق أوسطية) محلها كمطعم غربي / صهيوني مشترك، أو (الشرق أقصى) كمطعم إيراني، أو (الخلافة) كمطعم تركي أو (السوفيتي) لإعادة إحياء إمبراطورية الدب الروسي.. إلخ، وواكب هذا ما يسمى بـ(ثورات الربيع العربي) التي بدأت منذ 2010م في تونس وبعدها في مصر ثم استشرى لهيها إلى عدد كبير من الدول العربية الأخرى وصاحبه الكثير من التدمير والتخريب لموارد الدول المنكوبة، وتدمير مصادر الطاقة فيها، وأصبحت المنطقة العربية على وجه الخصوص مرتعاً لبدايات ملتبهة لحرب عالمية ثالثة لكنها في تلك المرة تحدث في نطاق (مركزي) عربي يستهدف تدميره تدريجياً بهدف استفادة الدول الكبرى من موارده الطبيعية بالغة التنوع،

وبالفعل تم تدمير الكثير والكثير من موارد العراق وليبيا والسودان واليمن وجارى التحالف والتكالب البشع على سوريا من كل التيارات الطامعة المتعارضة (أمريكا، إيران، روسيا، تركيا، وفي منتصف سبتمبر 2016، يحين دور إسرائيل لتبدأ ضرباتها، وعلى جانب مقابل توجد ضربات معارضة غير معروفة الهوية والتوجه الحقيقيين، وهذا كله، بالإضافة إلى التهديدات والتحرشات الصراعية المستمرة خاصة الإيرانية والقطرية منها ضد السعودية والبحرين مما تسبب في تدمير الكثير من ثروات دول الخليج من أجل تحقيق حالات أمن لا يعلم سوى الله متى تستتب ولصالح من!!.. وكل هذا مع تربصات واستفزازات لانهائية ضد أمن مصر وطمعا في الاستحواذ على أكبر دولة بالمنطقة محل الصراع الجشع وعلى إحدى أكثر الدول العربية ثراء بالثروات وبالبشر، على الرغم مما يبدو من حال سيء ظاهري لاقتصادها الراهن.

سادسا: إذن، يا ترى، ما هو الوضع الراهن والفعلي في مصر؟!!

كما صرح الدكتور شريف دولار الخبير السابق في التنمية الاقتصادية بالأمم المتحدة في أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة، فإن مصر قد واجهت خطر الإفلاس مرتين - الأولى في عهد الخديوي إسماعيل نتيجة لقيام بريطانيا برفع قضية ملفقة ضد شركة قناة السويس المصرية / الفرنسية) متهمه مصر باستخدام السخرة مع العمال مما تسبب في وقف حفر القناة لمدة عام كامل وإهدار كميات ضخمة من الموارد الراكدة، ثم استخدام كراكات وروافع باهظة التكاليف مما اضطر مصر إلى إعلان إفلاسها في الخارج، وكان الإفلاس الثاني في عام 1989 حيث اختفى النقد الأجنبي نتيجة لإتباع سياسة اقتصادية راکدة (على حد قول الراوي)، وعجزت البلاد عن سداد ديونها المستحقة، ولم ينقذ الوضع إلا بعد مشاركتها في حرب الخليج مما أسفر عن انخفاض ديونها بنسبة 50٪ مع جدولة الباقي (25 مليار دولار) على خمس سنوات تالية، حيث يتضح الدور الإيجابي الذي لعبه الجيش المصري آنذاك في حل الأزمتهن سوار بالمواجهة الإيجابية تجاه العدوان الثلاثي على مصر، أو بالمشاركة في أنشطة دفاعية في دول أخرى من اجل استجلاب دخلا يفيد كحل جزئي للمشاكل التمويلية القومية

لكن حال البلاد عاد - للأسف - إلى التدهور بالغ الخطورة بعد أحداث 2011م وما تلاها من مظاهرات واعتصامات وحركات تخريبية وتدميرية لأنابيب الغاز وللأبنية والمنشآت والمناطق الإدارية والأمنية والسياحية والاقتصادية الحيوية، بالإضافة إلى التعديت المستمرة حتى الآن على أراضي الدولة والزحف العمراني السفيه على الأراضي الزراعية وإتلافها من أجل تشييد مساكن ومقابر ومراكز تجارية كبرى كبديل (كما شاهدنا من خلال جولاتنا الميدانية لبعض مناطق مصر للمشاركة في دراسات التخطيط الاستراتيجي القومي التابعة لوزارة الإسكان)، وبدأت مظاهر الفساد والفوضى تعم بشراسة وجرأة جميع أرجاء البلاد فضربت السياحة في مقتل وأصبحت البلاد في حالة اقتراض دائم فتفاقت ديونها الخارجية والداخلية أيضاً بما يزيد من سوء الأحوال تدهورا وسوداوية، وكادت مصر أن تلحق بغيرها من دول المنطقة المنهارة لولا رعاية الله تعالى لها، وبعدها حكمة بعض أبنائها المخلصين، وعقلانية ويقظة جيشها البطل المدرب على التعامل الفعال وقت الأزمات وعلى النهوض اليقظ السريع، والمواجهة الإيجابية لتحقيق كل أنواع الأمن الوطني، بل والعربي الدفاعي والغذائي والاجتماعي وغيره. ولو أن هذا الدور الفعال مازال يواجه حربا شرسة مناوئة من قبل عناصر كثيرة هدامة من التيارات المعارضة والمتعارضة في مصالحها مع مصلحة الوطن بالإضافة إلى التربصات المتزايدة من دول الجوار الملتهبة بمخاطرها الذاتية والخارجية، ومن دول المطامع المعتادة أيضاً.

وكتيجة لما سبق وغيره، تتعرض مصر لمواجهة مشكلة اقتصادية كبرى تهدد الأمن الغذائي والاقتصادي للمجتمع حتى أنها أصبحت مستوردة لما كانت تتميز بإنتاجه بل وبتصديره، فعلى سبيل المثال، بعد أن كانت مصر مصدرة لأفضل أنواع القطن في العالم (حتى إنه كان يسمى بالذهب الأبيض)، أصبحت مستوردة للقطن الهندي وغيره، كما تورطت في الاستمرار في تطبيق اتفاقية الـ "كوز" لصالح القطن والخامات الإسرائيلية كشرط أمريكي مجحف، وضرب البطاطس المصري - الذي كان يمثل أفضل بطاطس تصديري على مستوى العالم - في مقتل نتيجة لاستخدام أسمدة بريطانية مستوردة تسببت في إصابة محصول كامل بالعفن ورفض الدول لاستيراده، وعلى نفس المنوال السيء، أصبحت

مصر تستورد القمح واللحوم وغالبية الموارد الغذائية المزروعة والمصنعة من الخارج، وللأسف، فهذا وغيره من الكثير المؤسف أصبح ما يشهده الواقع العملي على الرغم من أن الإحصائيات المنشورة الرسمية تظهر الحال بشكل تفاؤلي أكثر.

وفيما يلي صورة مختصرة توضيحية لبعض المؤشرات السكانية والبيئية المرتبطة بالوضع في مصر مؤخرًا:

1- يصل تعداد السكان في مصر إلى ما يقارب 95 مليون نسمة في 2016 وذلك في مقابل تعداد سابق قدر بـ 77 مليون نسمة في عام 2010 (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ومعهد التخطيط القومي فبراير 2010، ص 103) وذلك بزيادة 18 مليون نسمة (على الأقل) في خلال الست سنوات الأخيرة - وغير واضح أن كان التعداد الحالي قد أخذ في الاعتبار، أم تجاهل، حساب الأعداد المتزايدة للمهاجرين إلى مصر من دول الجوار المنكوبة (مثل العراق وسوريا وليبيا والسودان) وغيرهم من المستثمرين غير المصريين الذين يتقاسمون مع أهل البلد الأصليين ذات الموارد المحلية المتناقصة والذين يمثلون - بالإضافة إلى السكان المصريين الأصليين - عنصرا إنتاجيا متزايد التحميل على عنصر إنتاجي طبيعي مازال شبه ثابت أو يبدو متأكلا متمثلا في الأرض وإداراتها.

وعلى وجه العموم، فعلى الرغم من أن القوة البشرية تعتبر أهم مورد طبيعي وعنصر إنتاجي فاعل لأي دولة، إلا إنه ينظر إلى تلك الزيادة السكانية في مصر باعتبارها عبئاً على الموارد الطبيعية الأخرى للدولة كالمساحة الأرضية المتاحة للإسكان، والموارد الزراعية المتاحة لتوفير الطعام، والمياه الصالحة للاستخدام الآدمي المتاحة لمقابلة الاحتياجات البشرية المتزايدة والتي أصبحت مشكلة كبرى أكثر خطورة بعد بناء سد النهضة في إثيوبيا.

وخلاصة القول، فإن التزايد السكاني بحالته الراهنة متخلفة التعليم والتأهيل والإعداد المهني والإنتاجي الإبداعي، يعتبر عائقاً ضاعطاً على الاقتصاد المحلي وموارده لا معمرأ لها لأن الغالبية من تلك الزيادات السكانية تمثل عناصر متواكلة تأخذ بلا مقابل وتسلب بلا إضافة، وتطلب بدون أي استعداد للمبادرة بالعطاء الإيجابي الفعال.

2- نوعية الهواء في محافظات مصر

ملوث وغير مطابق للمواصفات الصحية المعيشية المطلوبة - ومن أسباب تلوثه: أن مصر تغلب عليها المناطق الصحراوية الكثيفة بالأتربة التي تتطاير إلى بقية أحياء الجمهورية بفعل الرياح خاصة الموسمية (ظاهرة الخماسين) ويزيد من شدة تأثيراتها، الندرة النسبية للأمطار، وذلك مع تنامي ظاهرة الانعكاس الحراري المسبب لاحتباس الملوثات قريباً من سطح الأرض، والسبب الثاني في هذا التلوث الجوى يرجع إلى الأنشطة البشرية غير الصديقة للبيئة والمصحوبة بملوثات الأنشطة الصناعية ومحطات الكهرباء والصناعات الغذائية ونفاياتها (معهد التخطيط القومي فبراير 2010، ص 103-105)، بالإضافة إلى انتشار العشوائيات المصحوبة بسلوكيات الكثير من الطبقات غير الواعية بالضوابط الصحية والبيئية المطلوبة، مع التخلص غير الآمن من النفايات الزراعية وأشهرها حرق قش الأرز الذي يتسبب في بث جسيمات ضارة تعلق في الهواء (مثل الدخان والغبار والأبخرة والضباب).

3- نوعية مياه نهر النيل وحالتها الحالية

أصبحت تلك المياه - للأسف - أكثر تلوثاً نتيجة لسليبات الأنشطة الصناعية والزراعية والسياحية التي نجم عنها اختلاط مياه النيل بمخلفات صناعية (صرف 116 منشأة في عام 2010 فقط) و صرف مخلفات معالجة مياه الشرب، والصرف الصحي (من المنشآت والقرى والسفن السياحية المقامة على ضفاف النيل) ومياه الصرف الزراعي (شاملة بقايا المبيدات والمخصبات..). والمخلفات الصلبة (المرجع السابق ص 115، 114)، وكذلك إلقاء الجثث الميتة للحيوانات وروثها، بل ولبعض البشر القتلى فيه، وأصبح ماء النيل يعاني أيضاً من غزو "ورد النيل" المستجلب لقواقع البلهارسيا والمجفف للمياه والمعيق للملاحة وللحركة وللتنقل بداخل ذلك المجرى المائي الحيوي لمصر كلها.

4- التشجير والحدائق والغابات الشجرية

تمثل أحد عناصر الموارد الطبيعية المتجددة اللازمة لحفظ التوازن البيئي ولضمان تحقيق

التنمية البشرية والمعيشية والاقتصادية المستدامة (المرجع السابق، ص 122) ومع هذا فقد تناقصت المساحات المخصصة لهذا أو تم إفساد الكثير منها نتيجة للكثافة السكانية المرتفعة والمستمرة في تفاقمها مع الازدحام الشديد بالمركبات، وزاد من سوء الحال تنامي ظاهرة التعدي الصارخ على ممتلكات الغير وممتلكات الدولة نفسها وتحويل المناطق السياحية الجميلة والحضرة والماء المفترض أن يكون ملكاً للشعب كله ملكاً لمن يدفع أكثر، وتحت تصرف الأكثر قدرة على استخدامها لأماكن سياحية تكسبية (مغلقة) !!

5- التنوع البيولوجي

تحظى مصر بنظم بيئية طبيعية تتيح لها الاحتواء لما يزيد عن 20 ألف نوع من النباتات والحيوانات، منها أنواع مستوطنة في مصر ومنها ما هو نادر، ومنها ما هو مهدد بالانقراض ويبلغ عدده نحو 69 صنفاً (المرجع السابق، ص 124) ومثل غيره من الموارد الطبيعية والبيئية يتعرض هذا المصدر البيولوجي الثرى للتدهور نتيجة للعوامل السابق سردها بالإضافة إلى المبالغة في استخدام التقنيات الحديثة المتطورة التي تعتبر في معظمها المتهم الرئيسي في تدمير البيئة والموارد الطبيعية والإخلال بالتوازن الطبيعي الذي نصح الطبيعيون من قبل بعدم التدخل البشري فيه أبداً.

وجدير بالذكر أن خدمات التنوع البيولوجي يفيد كثيراً في التنمية الفاعلة لجميع الموارد الزراعية والحيوانية والسلمكية وفي مجالات الطب والصناعة والسياحة البيئية، وكانت قيمة ما تم تقديمه من خدمات وبيع التنوع البيولوجي على المستوى العالمي تقدر بنحو 34 تريليون دولار سنوياً (المرجع السابق)، لكن بكل تأكيد إنه في ظل الحروب والصراعات وأحداث الإرهاب والتخريبات الدولية، أصبح هناك تقلصاً كبيراً في هذا التنوع بدليل ما يطالعنا كل يوم من الإعلان عن حالات انقراض أو (شبه انقراض) لأصناف مستحدثة من كائنات وزراعات نادرة، وعن مفسدات متزايدة تدمر الثروات السلمكية والبحرية مثل الشعب المرجانية التي تتدمر وتتهالك باستمرار في مصر نتيجة لإهمال رعايتها، وسوء التعامل معها من قبل بعض السياح غير المؤتمنين على الحفاظ على سلامة ثرواتنا وتراثنا، والذين تقلص عددهم كثيراً

فحل محلهم سياحة داخلية تضم فئات قليلة الدراية والإدراك بالأهمية الاقتصادية الكبرى لمثل تلك التنوعات فتسبب بعضهم في المزيد من الأضرار لمثل تلك الثروات الطبيعية النادرة أو مرتفعة القيمة.

6- المحميات الطبيعية

تتميز بندرة ما تختص به من مناظر وموارد طبيعية محلية ذات قيمة ثقافية أو علمية أو سياحية أو جمالية - وحتى عام 2007م كانت مصر تحظى بامتلاك 27 محمية طبيعية تمتد على مساحة 149 ألف كيلو متر مربع (نحو 15٪ من إجمالي مساحة مصر) (المرجع السابق ص 124، 125).

لكن بعد أحداث 2011 والتعديات المتزايدة وانخفاض البعد الأمني لبعض الوقت، أصبح وضع تلك المحميات معرضاً لتحويلها إلى مستباحات للمنحرفين والقراصنة وخبراء التكسب السريع بأموال مغسولة!

7- المخلفات الزراعية

يتربع على قمة المتواجدين منها في مصر "قش الأرز" حيث يمثل كميات ضخمة يسعى المزارعون إلى حرقها مصرحين بأنها العملية الأيسر والأقل تكلفة لهم بل والمتاح الوحيد لهم حيث أن الآلات المستخدمة لكبس القش وإعداده كخامات إنتاجية مكلفة جداً لهم ولا يجدون من يدعمهم في تمويل إنتاج تلك الآلات التي أعلنوا عن رغبتهم في تصنيعها بأنفسهم لو توافر لديهم التمويل الكافي. وذلك كما صرح لى المزارعين في مناطق مختلفة بقرى الجمهورية أثناء مشاركتي في الفرق البحثية المختصة بالتخطيط الاستراتيجي لتلك المناطق وزيارتي الميدانية لها).

8- المخلفات الصلبة

وهي التي تتولد من المخلفات المنزلية والزراعية والصناعية ومخلفات المستشفيات والصرف الصحي.. إلخ - ولقد قدر التراكم منها سنوياً بنحو 66 مليون طن، وذلك وفقاً لتقديرات عام 2007 حين كان عدد السكان في مصر 77 مليون نسمة، ما بال الحال الآن ونحن على مشارف عام 2016؟!

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى خبر كان قد نشر في بوابة الأهرام الزراعي في سبتمبر 2015م، بأن مخلفات المواشي تعتبر مصدراً ممتازاً لإنتاج أحد مصادر الطاقة الحيوية المتجددة، وقد أشير إلى أن المتاح من تلك المخلفات المهذرة تكفى وحدها لإنتاج 43 مليون اسطوانة غاز سنوياً، ومع هذا مازال يتم التعامل مع تلك المخلفات باعتبارها مورداً سلبياً يستلزم مبالغ ضخمة في سبيل التخلص منه وتدنية التكاليف الصحية الاجتماعية السلبية من تواجده في الطرقات الآهلة بالسكان.

الخلاصة:

إن ما سبق عرضه توأماً يمثل صورة سوداوية مصغرة لما أصبح العالم كله ومن بينه مصر يعيش عليه ومن خلاله، ولو ركزنا فقط على النموذج المقدم كمثال في هذا المقام لتأكدنا من صحة تأثيرات مسببات الندرة التي تم استعراض بعضها في خلال الصفحات السابقة، ومن الأمثلة على تلك المسببات التي يمكن استنباطها من العرض السابق:

1- المعاملات الربوية التي تمثلت في القروض الائتمانية التي تعاملت بها كل الدول التي تعرضت للأزمات الاقتصادية.

2- الفساد السلوكي والتدخل البشري السيئ في الإخلال بالنظام الطبيعي إلهي الخلق والمصدر.

3- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم 41).

4- الموارد الطبيعية إلهية المصدر التي أمر الله تعالى بأن تتاح لكل البشر على حد سواء (الناس شركاء في ثلاث..) أصبحت محل تنازع واستئثار ولعبة صراع اجتماعي وسياسي محتدم بين الأفراد والجماعات والدول على حد سواء، بما يناقض تماماً قوانين الإعمار والاستخلاف الإلهي التي تتيح موارد طبيعية لتكون ملكاً لكل دول العالم وليست حكرًا لقوى ضد ضعيف أو مستضعف (وذلك كالحال فيما يتعلق بمشروع سد النهضة الأثيوبي الذي يستهدف منه حرمان بعض الدول المشاركة لذات المجرى

النيلي لمجرد اختلاف المواقع بين دول منبع ودول مصب، وكذلك قيام أمريكا بإلقاء الفوائض من محاصيلها كالبطاطس في مياه المحيط حفاظاً على الكمية المعروضة وبالتالي على الحد المفروض لأسعار بيعها المرتفعة، وأيضاً مثل النظريات الاقتصادية الاستعمارية ذات التوجه الأناني التي تدعو إلى نهب ثروات وموارد الدول المستضعفة بحجة عدم استحقاقها لامتلاك ما لا تستطيع التعامل الصحيح معه، وتلك التي تدعو إلى قطع معونات الدول ذات الفائض عن الدول الأخرى المحتاجة، متجاهلين جميعاً أنهم يتحكمون بقوة بشرية مؤقتة فيما لا يملكون.

5- البعد شبه التام عن اتباع أوامر الخالق، مع اتباع المنهج القاروني والكبر الإنساني المهلك كأساس ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَوْتَيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: 78).

6- وحتى من يدعون أو يدعون بأنهم يتبعون أوامر الله فغالبيتهم لا يربطون القول بالعمل ولا التصريح بالتطبيق ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: 3).

وكل هذا أو غيره يؤكد على أن السبب الرئيسي لما يعانيه العالم أجمع من نضوب ومحدودية في الموارد إنما هو نتيجة لعقوبات وإنذارات إلهية متكررة.. لعلنا نفيق كبشر من غفلتنا قبل أن تغرق سفينة الحياة بكل من فيها.

بعض المبشرات المأمول في إيجابية تأثيراتها على التنمية الفاعلة للموارد المتاحة

ولا يقصد بالمبشرات في تلك الحقبة الزمنية (المتخمة بالفتن والصراعات والدمويات والفوضويات) أنها عوامل سحرية التأثير وأنها يمكن أن تحقق حالة التوازن الذي تم الحديث عنه في البداية، لكن يقصد بها هنا بعض الإمكانيات والوسائل التي يؤمل في أن يؤدي الأخذ بها إلى الحفاظ على الحقيقي من ثروات وتقليل كم الإهدارات والحد من عمليات الاستنزافات للموارد والنعم التي أصبح أغلبية البشر يتبارون في إساءة استغلالها وتعرضها لمخاطر النضوب والهلاك التام - ومن هذا نذكر:

أولاً: تنمية وتطوير وتطبيق مجالات إعادة تدوير النفايات والمخلفات الزراعية والصناعية والاستهلاكية

فقد انتشرت وتنامت عمليات تدوير جميع أنواع المخلفات والنفايات حتى الصلب والكريه المنفر منه، بحيث ساعدت التقنيات المتطورة على تحويلها إلى عناصر إنتاجية نافعة، مثل تحويل تلك النفايات الصلبة إلى أسمدة مغذية ومخصبة للتربة، ومعالجة مياه الصرف الصحي وتحويله إلى مصدر مائي صالح للري -

أما عن قش الأرز، فهناك جهود جادة متزايدة تسعى إلى إعداده كخامات إنتاجية يمكن استخدامها لإنتاج الورق، والعلف والأسمدة، وقبل 2011 تم إقامة مشروع مصري فرنسي عمره خمس سنوات بهدف إنتاج مبيدات حيوية غير ضارة بالنبات ولا بصحة الإنسان لكن توقف نتيجة للأحداث مثل غيره من مئات المشروعات والاستثمارية النافعة المأمول في إعادة تشغيلها واستكمال دورها الإيجابي.

هذا - وقد تنامت الأبحاث وتضافرت الجهود من أجل تحويل ورد النيل من عدو لدود للبيئة خاصة المائية والملاحية والصحية للإنسان إلى مورد إنتاجي متعدد المنافع وذلك بالسعي إلى استخدامه في إنتاج الأسمدة المخصبة وعلف المواشي وصناعة أنواع معينة من الورق خاصة إنه يتوافر بكميات هائلة تغطي نحو 300 مليار متر مكعب من الماء بما يكفي لري واستزراع 100 ألف فدان من الأراضي الجديدة.

ولقد نجحت كثير من الدول في الاستفادة من هذا المورد المزعج في ظاهره وتحويل جزء منه إلى مورد طاقة حيوية متجددة، كما شاع استخدامه في مجالات أخرى على النحو التالي:

- في الفلبين: استخدم في صناعة الحبال والأحذية والحقائب وأواني الزرع واستخلاص لمعادن ثقيلة تستخدم بدورها في صناعات أخرى.
- في الهند: توليد كميات ضخمة من البيوجاز.
- في أمريكا: يستخدم في تنقية مياه الصرف الصحي.
- في اليابان: يستخدم كنوع من نباتات الزينة مبهجة المنظر.

ثانياً: توليد أنواع مستحدثة من الطاقة والكهرباء من مصادر متاحة غير مألوفة. حيث نجح كثير من الشباب المصري في اكتشافها وتطبيق تجارب ناجحة بشأنها مثل:

الماء، البطاطس، دينامو السيارات وحركتها السريعة على المجسات الأرضية، مروحة الكمبيوتر، الشمس، الرياح، الجاذبية الأرضية، خطوط التلفون، (كهرباء ذاتية) بالدراجة الهوائية... إلخ

وكذلك استخدام مخلفات المواشي في توليد وإنتاج البيوجاز (وذلك كما تمت الإشارة إليه في جزء سابق)

ثالثاً: تنامي أبحاث جديدة وناجحة وقابلة للتطبيق بتكاليف اقتصادية من خلال أنشطة المركز القومي للبحوث

وكان من أهم ما أعلن عنه مؤخراً إمكانية تحويل قش الأرز المسبب لظاهرة الدخان الموسمية، إلى عنصر إنتاجي متعدد الاستخدامات والمنافع منها:

- 1- استخراج لب ورق من أجل تصنيع أعلاف وقوالب وقود ومبيدات ليرقات الناموس وصناعة الورق والكرتون.
- 2- ولقد صرح أحد المسؤولين بالمركز بأن المعدات المستخدمة هي محلية الصنع بالكامل، وأن الوحدة منها تتكلف نحو 8 مليون جنيه مصري بحيث يعمل عليها 100 عامل مباشر بالإضافة إلى 100 عامل آخر غير مباشر يقوم بأعمال مؤقتة في مجال صناعات متوسطة أو صغيرة ذات صلة بالمشروع الأصلي.
- 3- إنتاج الخشب البلاستيكي، حيث صرح إنه يستوعب كثيرا من النفايات المتنوعة (مثل قش الأرز، حطب القطن وجريد النخل)، وذكر أن هذا الخشب يتميز عن كثير من الأنواع الخشبية الأخرى بأنه سهل التشكيل، خفيف الوزن، رخيص الثمن.
- 4- إنتاج الورق والكربون.
- 5- إنتاج السماد الصناعي وعلف الحيوانات.

6- إنتاج أنواع من الحبال والقبعات.

7- إنتاج الغاز.

رابعاً: توجه متزايد إلى إنتاج الأعشاب الطبية والزيوت العطرية والروائح باستخدام الخامات الأولية المتوافرة بكثرة في مصر خاصة في سيناء والوادي الجديد وبنى سويف.. إلخ وذلك كالحال بالنسبة للياسمين والورد البلدي الذي كان الاتجاه يتركز على تصديره بالكامل إلى الخارج بأبخس الأثمان ثم يعود إلى مصر كصادرات عطرية فرنسية وأجنبية باهظة الأسعار وتلك المعلومة تم الحصول عليها من خلال زيارات ميدانية متعددة للكثير من مناطق الجمهورية أثناء المشاركة في العمل في مجال التخطيط الاستراتيجي لمدن وقرى الجمهورية.

خامساً: تركيز الاهتمام على التعليم الفني وإنشاء وزارة موجهة لدعمه يعنى تحويل إدراك المسؤولين إلى مدى أهمية العمل اليدوي والتطبيقي في زيادة فعاليات استغلال الموارد المتاحة للدولة، بل وزيادة إنتاجية السكان العاملين في مصر باعتبارهم أنفسهم موارد إنتاجية مطلوب تنميتها وتطويرها وتفعيلها.

سادساً: الجهود الإصلاحية المؤخرة التي بدء في تنفيذها بجدية أكبر من أجل إرساء بنية أساسية قوية تيسر عمليات التنمية والتطوير للموارد المحلية، ودعم الاستثمارات المحلية وتقوية مقدراتها التنافسية تجاه الاقتصاديات الدولية الأكثر قوة، وقد بدأ هذا بوضوح منذ نحو عامين، وعلى الرغم من الكثير من الحركات المعادية والمتربصة من الخارج ومن الداخل نتيجة لاختلاف التوجهات وتعارض الأهداف، إلا أن الجهود الاستثمارية ما زالت تسير على نهج مبشر، كما بدء في إحياء الدور الاستثماري لبعض الأجهزة الاستثمارية التي كانت تتمتع بتميز وارتقاء إنتاجي في الماضي مثل المصانع الحربية والهيئة العربية للتصنيع التي كانت أنشطتها قد بدأت في الضعف والانزواء نتيجة للأحداث المؤخرة التي شملت المنطقة العربية جميعها بالفوضى والارتباك والتربص من أجل إعادة تقسيم المنطقة وإلغاء الهوية العربية وتحويلها إلى شرق أو وسطية، أو شرق أقصى، أو خلافة، أو وحدة سوفيتية.. كل وفقاً لتطلعاته!!!!

سابعاً: الرمال السوداء والرمال البيضاء، كموارد مغبون حقها في الاستغلال والانتفاع

فكما هو معروف، أن المساحة الغالبة لمصر تتمثل في مناطق صحراوية رملية ترابية، بحيث يعاني السكان من تطاير الكثير منها وتلويث الهواء بها خاصة في فترة الربيع المرتبطة بما يطلق عليه (الرياح الخماسينية)، على الرغم من أن تلك الرمال التي تمثل مصدر إزعاج للعامة تمثل في الواقع ثروة قومية صعب أن تقدر عوائدها ومنافعها.

وبالإضافة، إلى ما سبق، فإن مصر تطل على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط اللذان تتراكم على شواطئهما كتل من أنواع أخرى من الرمال الممثلة لثروة طبيعية كخامات إنتاجية إضافية مغبون حقها. وتعتبر سيناء وحدها مجمعا ضخما للرمال التي يباع الطن منها بثمن بخس يتراوح بين 20 إلى 40 دولار للطن إلى بعض دول الخليج وتركيا والصين وغيرها، لتعود إلى مصر في شكل منتجات ذات قيم مضافة بحيث تباع بأسعار خيالية (مثل تصدير أكواب المياه البلاستيك كصناعة تركية باستخدام الرمال البيضاء المصرية كخامات أساسية).

وفيما يتعلق بالرمال البيضاء، فهي تستخدم كخامات للصناعات بالغة التنوع مثل زجاج النظارات الطبية وإنتاج مادة السليكون وإنتاج مطهرات مياه الشرب وفي إنتاج الطاقة الشمسية وتصنيع الشاشات والشرائح الالكترونية.. الخ

وجدير بالذكر أن موقع الحسنى بشمال سيناء يشمل وحده على 40 مليون طن من الرمال البيضاء، بينما يشمل موقع أبو زنيمة جنوب سيناء على أجود أنواع الرمال الصالحة كخامات لإنتاج الزجاج النقي.

وعلى الرغم من عدم الاستغلال الكافي للثروة الرملية المتكتلة في مصر، إلا إنه قد تم مؤخرا إنشاء مشروع استثماري رائد تكفلت به شركة برأسمال قدره 2 مليار جنيه وذلك في كفر الشيخ في منطقة البرلس بالتحديد وذلك على مساحة 36 فدان بمنطقة الخشوعى بين برجى البرلس ومصيف بلطيم، حيث تساهم القوات المسلحة بنسبة 61% من رأسمال تلك الشركة، ويساهم أحد البنوك بـ 10٪، وتساهم محافظة كفر الشيخ بالباقي من رأس

المال المقرر. ويهدف المشروع المذكور إلى استغلال "الكثبان الرملية السوداء" المتوافرة بالمنطقة واستخراج عناصر هامة منها مثل الإشعاع النووي والذهب والتيتانيوم المستخدم في صناعة هياكل الطائرات والصواريخ الضخمة، والروتيل المستخدم في صناعة البويات، وجدير بالذكر أن الرمال السوداء تشتمل على 41 عنصراً يمكن أن يساعد كخامة أساسية على تنمية 41 صناعة منها ما ذكر ومنها أيضاً صناعة الزجاج والمنتجات الذهبية وغيرها.

ثامناً: الريف المصري الجديد، حيث بدء الاهتمام مؤخراً بالتنمية الريفية الحضارية من خلال التوسع في إنشاء مناطق ريفية في ثوب إنتاجي جديد خاصة مع تنمية مناطق الظهير الصحراوي، وكان من أهم ما أعلن عنه في منتصف مايو 2016 من مشاريع ذات صلة هو مشروع تتكفل به شركة الريف المصري الجديد بهدف استصلاح مليون ونصف فدان وذلك برأس مال 8 مليار جنيه يشارك في تمويله هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة والهيئة العامة لمشروعات التعمير والتنمية الزراعية ووزارة المالية، مع استهداف تشجيع القطاع الخاص على المشاركة في استكمال تشييد نموذجاً معاصراً للريف المصري الجديد بمنطقة الفرازة بحيث يصبح مشروعاً رائداً يمثل نقطة بداية وانطلاقاً لمشاريع متماثلة في جميع أنحاء الجمهورية فيما بعد.

الخلاصة:

من كل ما تم عرضه على الصفحات السابقة يتأكد للجميع إنه لا يوجد سلبي مطلق ولا إيجابي مطلق - ولا توجد مشكلة ظاهرية إلا ويقابلها حل قابل للتطبيق الفعال في القضاء عليها أو التقليل من حدة تأثيراتها.. أو في كثير من الأحيان تحويلها إلى منافع مرغوبة تفيد ذات الفئات المتخوفة من الأضرار والمخاطر المتوقعة أو الظاهرية.

فالأمر يتطلب في كلمات قصار: اتباع التوجيهات الإلهية في كيفية التعامل مع الموارد والنعم والأرزاق، لأن الله وحده الذي يعرف مفاتيح الإدارة الصحيحة لما خلق وأوجد من تلك الموارد وهو وحده العالم بكيفية الاستغلال الرشيد لها، هذا، مع ضرورة ربط الطاعة بالعلم وبالإتقان وبصفة التحدي الفعال المصحوب بالعمل الدؤوب الذي يمكن معه تحويل كل سالب إلى موجب وكل ضار إلى نافع وكل محدودية إلى وفرة.

فقط، علينا جميعاً أن نتذكر:

- أننا لم نؤت أي شيء من عندنا..
- وأن الله ضمن لكل مخلوق ما يكفيه..
- وأن المصدر الفعلي للموارد وللثروات وللمتطلبات المعيشية هو.. خزائن الله التي لا تنفذ.